

# قيمت الانسان بمشاعره

الصلد ، اذ ان الصلادة تعني في الاصل عدم استجابة الارض لاي مطر يهطل عليها ، مهما كان استمراره او غزارته ، ولذلك يقال للحجر المتناسكة مادته « حجر صلد » . واذا ما تكاثرت الخطوب على الانسان واستطاع ان يثبت لها ويتغلب عليها شبه نفسه بالحجر القوي الذي لا يؤثر فيه قرع امثاله من الاحجار .

يقول ابو ذؤيب الهذلي في تصيدته العينية المشهورة :

**حتى كاتي للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تفرع**  
لذلك وجدنا اطباء هذا العصر يسألون مرضاهم عما اذا كانت نفوسهم مطمئنة او غير مطمئنة ، وربما كانت اكثر العقاقير مزوجة بما يهديء اعصاب المريض .  
ومهما يكن من امر ، فاننا اذا ما تأملنا في شعر الشعراء الذين توجهوا الى القلب بأحاديثهم وجدناهم يقصدون ما اشرنا اليه من الامور المعنوية كالعواطف والاحاسيس والمشاعر . . والا كيف تلين تلك المضغة فتغدو رقيقة اشد الرقة كالنسيم الليل في بعض الاحيان ثم تقسو اشد القسوة حتى تصبح كالحجر الصلد في بعض الاحيان ؟

وبالرغم من ان التأمل في تركيب جسد الانسان يوقفنا على كثير من العجائب والغرائب ، وقد تحدثنا في شرح الجسد احاديث مفصلة كثيرة ، فان عجائب القلب او قل اعاجيب نفس الانسان اكثر واغرب . فهي تؤثر في الجسد تأثيرا يكاد يفوق حد الخيال . ولقد كانت تلك الاحاديث تعد من اساطير الماضين ، اما في هذه الايام فان علماء النفس يؤكدونها ، اذ انهم قاموا بتجارب حسية ثبتت لهم ان كثيرا من تلك القصص التي روتها الانار القديمة تشبه ما توصل اليه العلم التجريبي في هذا العصر .

يقول غولتيسكي :  
اعتدت ان اتناول غدائي في الثالثة من كل يوم ، ثم

اطرافه تعقد من لينها وقلبه كالحجر القاسي  
ويقول شاعر اخر :

**يلين من لا أريد رفته وقلب من اشتبهه كالحجر**  
وما اكثر الشعراء الذين يوجهون حديثهم او عتابهم الى اغدة محبيهم ، وهذا العتاب الى القلوب والافئدة لا يزال متصلا منذ اقدم العصور . وليس من شك انه سيظل كذلك الى ما شاء الله .

وانت حين تقرأ هذا العتاب ترداد به تعلقا واليه تشوقا ، حين يكون الشاعر ممن يحسن الحديث ، لان الحديث الى القلوب خفيف على الاسماع حبيب الى النفوس مهما اعيد وتكرر . . والشعراء الذين وجهوا حديثهم الى القلوب لا يعنون ما تمنيه بمآج المغة التي تحدثت عن القلب ، فهي تكاد تحصر معاني هذه اللقطة بقولها انها هي المضغة الصنوبرية الشكل ، مودعة في الجانب الايسر من الصدر وهو اهم اعضاء جسد الانسان ، واكثر كلام المعاجم يدور على هذا المعنى .

وليس من شك ان الادباء والشعراء لم يتوجهوا بأحاديثهم الى هذه المضغة المادية ، وانما توجهوا الى جميع احاسيس الانسان ومشاعره والى عقله وعواطفه .

ولما كانت المشاعر والاحاسيس من ارق الامور واسرعها تأثيرا سميت بالقلب لانها حين ترق تؤثر على حياة الانسان اشد التأثير ، كما يؤثر القلب على حياة الانسان حين يلم به اقل انحراف فيصبح سعيدا منعما حين تنقسم له الحياة او شقيا معذبا حين تمس له الحياة . والامور التي تؤثر في مشاعر الانسان اكثر من ان تحصى : منها ما يكون باديا كثرية المناظر الجميلة او الكريمة ، ومنها ما يكون معنويا كتأثير الكلمة الطيبة ، بل حتى نوعية الفاء الكلمة . كل ذلك له تأثير واضح على مشاعر الانسان واحاسيسه . اما الفرد الذي لا يتأثر بما يشاهد او بما يسمع فان الادباء يشبهون قلبه بالحجر

## بقلم : عبد الرزاق البصير

يشعرون حين تحدث له حادثة في غرينه . فترى كلا منهم يبادر بالسؤال عما حدث . والسبب ما يجد من تنبه في احاسيسه اما برؤيا مزجة او مفرحة او انتفاض في صدره اذا كان الحادث مؤلماً او ارتياحاً في نفسه اذا كان الحادث ساراً مفرحاً .

وفي اعتقادي ان خير ما يمتاز به هذا العصر عناية علماء النفس ومحاولاتهم الكثيرة المتنوعة . لكشف اعماق نفس الانسان وكيفية التأثير عليها او توجيهها . فان علم النفس اصبح من المواد التي يتلقاها الطلاب في المراحل الدراسية المختلفة .

ومن الواضح ان وسائل الاعلام الحديثة . من مسوعة ومرتبة . تتفنن في التأثير على النفوس والعقول ويتقاسم رتي هذه الوسائل ونجاحها باجذاب الانواق إليها . وهذا لا يحتمل الا ان اذا كان القائمون على هذه البوالبائل من ذوي الخبرة والاختصاص . بالاضافة الى اهتمامهم واجتهادهم في تغذية النفوس والعقول بالنافع المفيد . وتقبلهم للنقد الهادف والنابع عن الاراء المفتحة والعقول المستنيرة التي تعقد البناء من وراء ما تنبئه من اراء وما تصدره من احكام . . وعلامة ذلك ان تكون احكامها واراؤها معززة بالبراهين والادلة القاطعة . وما اظن اني في حاجة الى ان ائوه بان علينا ان ندرك جميعاً بان كل امر له اهميته وخطره لا يمكن ان يبلغ غايته بصورة صحيحة الا اذا نبودلت فيه الاراء بحرية كاملة . ورحم الله بشارا حيث يقول :

**فلا تجعل الشورى عليك غصاصة**

**فان الخوافي قوة للقوادم**

**وما خير كف امسك الغل اختها**

**وما خير سيف لم يؤيد بقائم**

**عبد الرزاق البصير**

— الكويت —

انام بعدها ساعة او ساعة ونصف الساعة . وفي تموز عام ١٨٨٢ تمددت على المتعد . وكانت الساعة الثالثة والنصف فخلعت بان الجرس يدق . وانهم يدعوني لزيارة مريض . فذهبت اليه ودخلت الى غرفة صغيرة وبها سجادة قاتمة . وعلى يمين الباب رايت منضدة عليها مصباح غريب الشكل . كأنه حامل شعوع ، وقد استرعى انتباهي هذا المصباح كثيرا اذ لم ار مثله في حياتي . وفي شمال الباب يوجد سرير . اسلقت عليه سيدة . كانت تنزف نزيفا شديدا . ولا ادري كيف عرفت مرضها . . لم يكن هناك احد . ولكنني رايت اني احاول اسماها . وتدأقت من نومي بسرعة . مع اني عادة . افيق ببدء مكانها ايقظني ادهم . وبعد عشر دقائق من يقظتي دق الجرس وجاء من يطلبني لمريض ولم أكد اصل حتى صعدت . . اذ رايت نفس الغرفة في الحلم . كما رايت الصباح نفسه . والسرير في نفس المكان . ثم لم اناك من القول للمريضة : معك نزيفاً فقالت لي : نعم ، وكيف عرفت ؟ . ثم قالت لي انها شعرت بانزعاج منذ الصباح وفي الواحدة بدأ النزيف خفيفا . وفي الثانية ازداد فارتمت على السرير . وفي الرابعة قررت ان تستدعيني . اذ زاد اضطرابها . . ان المساعة بين البتين هي عثرون دقيقة .

هذه القصة وامثالها لا يعلق عليها الان ببسمة استخفاف ، بل بالاهتمام اللائق ، والسؤال : كيف حدث هذا ؟ .

سؤال لم يستطع العلماء ان يصلوا الى جواب عليه حتى الان . لان علم النفس ما زال واقفا عند الشاطيء ، اذ ان نفس الانسان شبيهة بالمحيط الذي لا يكاد يعرف احد غوره ، فهو متناقض يجعل الفكر في حيرة لا يعرف بداها . علو ذهبا نستقصي احاديث الناس في مثل هذه التجارب لما انتهينا . . لكثرتها وتنوعها .

وكاد اعتقد ان معظم الناس قد مر بشيء من هذه التجربة . فالفرد حين يتقرب عن وطنه يحس في كثير من الاحيان ، حين تحدث حادثة . بين اهله وكذلك اهله

# أضواء علم النفس البشرية

## آراء الفلاسفة في النفس ③ فلسفة العرب

ويقول أيضا : « ان للنفس بعد الموت سماعات وشقاوات ، وان السعادة ليست الا ان تتحرر النفس من القيود المادية ، فتصير عقلا كاملا » .  
ويقول الفارابي كذلك : « ان النفس الناطقة (٣) التي لها هذه القوة ( اي الادراك ) جوهر واحد هو الانسان عند التحقيق ، وله فروع ، وقوى مبنية (٤) منها في الاعضاء . وانها حادثة عن واهب الصور عند حدوث الشيء المستعد لقبوله فيه ، وهو البدن او ما في قوته ان يكون بدنا . وان النفس لا يجوز ان تكون موجودة قبل وجود البدن ، وانها لا يجوز ان تتكرر في ابدان مختلفة ، وانه لا يجوز ان يكون لبدن واحد نفسان ، وانها مفارقة (٥) باقية بعد الموت ، فليس فيها قوة قبول الفساد (٦) . »

### حديث الرازي عن النفس :

يقول الهمام فخر الدين الرازي (٧) في كتابه «مفاتيح الغيب» ان من النفوس البشرية ما يستعين بالارواح الارضية ، وان اتصال النفس الناطقة بها اسهل من اتصالها بالارواح السماوية ، وان كانت القوة الحاصلة للنفس بسبب اتصالها بهذه الارواح الارضية اضعف من القوة الحاصلة لها بسبب اتصالها بتلك الارواح السماوية ، فان النفوس الناطقة اذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة للانوار الفائضة من الارواح السماوية والنفوس الفلكية ، فتقوى هذه النفوس بانوار تلك الارواح ، وتقدر على امور غريبة خارقة للعادة ، وانها في هذه الحالة تكون مستعملية على

لقد ذهب فلاسفة الاسلام ومفكرو العرب من امثال الفارابي ، وابن سينا ، وابن مسكويه ، والغزالي ، في النفس مذاهب شتى .. ونرى من تعريفهم للنفس انهم اخذوا عن ارسطو اراؤه وحورواها واتجهوا بها اتجاهها افلاطونيا ، ملونا بالانطلمونية الحديثة ..  
فالفارابي (١) يرى ان الانسان مؤلف من عنصرين او جوهرين ، أحدهما من عالم الجبس ، والاخر من عالم الامر ، « انت مركب من جوهرين : أحدهما بشكل بصور كيف مقدر متحرك وساكن ، متحيز منقسم ، والثاني مبين للاول في هذه الصفات ، غير مشارك له في حقيقة الذات . يناله العقل ، ويعرض عنه الوهم . فقد جهمت من عالم الخلق ، ومن عالم الامر . لان روحك من امر ربك ، وبدنك من خلق ربك » (٢) .

كذلك نجد يقول : « ان الروح الذي لك من جوهر عالم الامر ولا يتعين باشارة ، ولا يتردد بين سكون وحركة . فذلك تدرك المعلوم الذي فات ، والمنتهى الذي هو آت ، وتسبح في عالم الملكوت ، وتنقش من خاتم الجبروت » .

ولقد حاول الفارابي التوفيق بين كل من تعريف افلاطون وارسطو للنفس في كتاب سماه « الجمع بين رايي الحكيمين افلاطون وارسطو طاليس » . فمن جهة يقول كارسطو : « ان النفس صورة للبدن ، ومن جانب اخر يقول : « ان النفس العاتلة هي جوهر الانسان عند التحقيق ، وانها لا تغنى ببقاء الجسم ، وان المعرفة الحققة هي سبيل الصعود الى العالم العلوي » .

## بقلم: عَبْدُ الْعَزِيزِ زَجَادُو

### رأي ابن مسكويه في النفس :

كان ابن مسكويه (٩) لا يفرق بين النفس والعقل ، فانه يراها واحدا ، ويرى ان الحس اذا اخطأ بادرت النفس بتصحيح هذا الخطأ .. ويرى ايضا « ان النفس جوهر باق لا يقبل الموت ولا الفناء وستجزى على ما عملت في الدار الاخرى ، الا ان سعادتها وشقاءها اللذين سيحصلان لها بعد مفارقة البدن امور روحية تناسب قوتها وجوهرها » (١٠)

ويقول ابن مسكويه في كتابه « تهذيب الاخلاق » في المقالة الاولى : « النفس جوهر ليس بجسم ، وانه شيء اخر يمارق للجسم وهذا هو العقل . دليله على ذلك ، ان النفس لا تسفح ولا تتغير بخلاف الجسم واجزائه واعراضه . وبانها تقبل صور الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام من غير روال رسم ، بل يبقى الرسم الاول تاما ، وتقبل الرسم الثاني ايضا تاما . ولا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير ان تضعف ، (١١) بل تزداد الصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى » .

ويقول : اما الجسم فلا يقبل نقشا على كماله بعد نقش الا اذا زال الاول كما يرى ذلك في الشمع مثلا . ثم ان النفس ليست عرضا محمولا للجسم بل حاملة له اتم من حمل الاجسام للاعراض . بخلاف العرض فانه محمول ابدًا ولا يحمل عرضا . وكذلك يحصل في النفس في قوتها الوهمية الطول والعرض والعمق واي كيفية من كيفيات الجسم كاللون والروائح فلا تصير بذلك جسما ولا طويلا او عريضة او عميقة او ذات لون ورائحة . وهي تقبل كيفيات الاجسام المتضادة في حالة واحدة بالسواء . واذا تخلت النفس عن الحواس باكثر ما يمكن ازدادت قوة وكبala وظهرت فيها الراء الصحيحة ، اما الجسم فيزداد بعباشرة الشهوات والمحسوسات قوة وكبala لانها اسباب وجوده ..

البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات ، كانتها روح من الارواح السماوية ، فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم ، اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بالذات البدنية فلا يكون لها تصرف الا في هذا البدن . وبعض الناس يحاول تعدى تأثيرها من بدنها الى بدن اخر ، او الى نفس اخرى غائبة عنها فيتخذون تمثال ذلك الغير او شبعا يضعه عند الحس ويشغل الحس به شغلا تاما فيبتمعه الخيال ، وتقبل النفس الناطقة عليه فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية . ولذلك اجتمعت الامم على انه لا بد لمزاولة هذه الاعمال والوصول الى غايتها من الانتطاع عن المألوفات والمتعتهات وتقبل الغذاء ، ومخالطة الخلق ، وكلها كانت هذه الامور اتم كان ذلك التأثير اقوى . واذا انتفى ان كان للنفس التي نزاول هذه الاعمال مناسبة لهذا الامر نظرا الى ذاتها وخاصيتها عظم التأثير كما ذكروا نظيره في النفوس الصافية . واذا كان بينها وبين بعض النفوس المفارقة لبدانها مشابهة في قوتها وتأثيراتها لم يبعد ان تنجذب اليها ، ويحصل لها نوع ما من التعلق بالبدن ، فتعاضد نفسه على افعاله الكثيرة ، وكلما كملت المشابهة وازدادت القوة قوى التأثير .

وبالجملة ، فالنفس الناطقة عرش محيط بعالم الطبيعة التي هي القوة الالهية السارية في الاجسام كلها احاطة شاملة كما ان المبادئ العالية محيطة بها والاله من ورائهم محيط .

فاذا نحت النفوس بداركها وحركة فكرها الى جهة المحيط ، واتسلت بالعالم العلوي كانت كانتها روح من ارواحه ومجلى من مجاليه ، يظهر فيه ، وعنه من الخوارق كل ما اراد ان يظهره الفياض من طريقته ، واذا تنزلت الى عالم الطبيعة واشتغلت بلذات البدن وشهوته لم يكن لها من الادراك والتصرف الا ما تسمعه قواه الكونية الضعيفة (٨) .



## أضواء علم النفس البشرية

الإخلاق » غيو يقول :

« ان قوى النفس تنقسم الى ثلاثة اقسام : قوة ناطقة وتسمى المكنية وأنها الدماغ . وقوة غضبية وتسمى السبعية وأنها القلب . والقوة الشهوية وهي التي تسمى بالبهيمية وأنها التي تستعملها من البدن الكبد .

« والفضائل والردائل تقابل هذه القوى : فالحكمة فضيلة النفس العاقلة . وهي تأتي عن العلم . والسخاء عن فضيلة البهيمية وهو يأتي عن العفة . وفضيلة النفس الغضبية الشجاعة . وهي تأتي عن الحلم . وهذه الفضائل الثلاث يحدث عنها اذا اعتدلت في نسبة بعضها الى الأخرى فضيلة رابعة . هي كمالها ونمامها . وهي فضيلة العدل . وعلى ذلك فالفضائل كما اجمع عليها الحكماء أربع وهي : الحكمة . والعفة . والشجاعة . والعدالة . . واضدادها : الجهل . والشر . والعين . والجور . »

الى آخرها جاء في المقالة هذه التي نرى منها ان مسكوية : ذكر افلاطون وأرسطو في تقسيمه للنفس والفضائل : وأثر الحياة الاجتماعية .

**راي ابو حيان التوحيدي :**

لقد عنى ابو حيان التوحيدي (١٥١) . في أكثر من موضع في مؤلفاته بالفرقة بين النفس والروح . على الرغم من اعترافه الصريح بأن الكلام في النفس والروح مسعّب شاق . ومن الحقيقة بعيد . بذليل ان الله سخر معرفة هذا الضرب عن الخلق حين قال : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » (١٦١) . . ففى كتابه « المقابسات » مثلا نجده يقول : « لقد ظننت العاية وكثير من اشياء الخاصة ان النفس هي الروح . وانه لا فرق بينهما الا في اللفظة والسمية . وهذا الظن مردود . لان النفس جوهر قائم بنفسه . لا حاجة بها الى ما تقوم به . وما هكذا الروح فانها محتاجة الى مواد البدن والآنة » (١٧٠) . .

ويعود ابو حيان الى هذه التفرقة مرة أخرى فنراه يقول في موضع آخر : « أن الانسان ليس انسانا بالروح . بل بالنفس . ولو كان انسانا بالروح . لم يكن بينه وبين الحمار فرق . بأن كان له روح ولكن لا نفس

الى ان يقول : وهذا أول دليل على أن جوهر النفس وطبيعتها غير جوهر الجسم وطبيعته وايضا فان تشوقها الى معرفة الأمور الإلهية وميلها الى الأمور التي هي افضل من الأمور الجسائية وانصرافها عن الأمور والذات الجسائية يدلنا على انها من جوهر أعلى من الأمور الجسائية . . (١٢١) .

والطريق لتحصيل الخلق الفاضل الذي تنشأ عنه الأعمال الجميلة هو — كما يقول ابن مسكويه — ان نعرف أولا نفوسنا : ما هي . ما قواها . وملكانها : وغاياتها التي فيها كمالها . .

فهو في النفس له يشد من رأى سقراط وافلاطون وأرسطو في أنها ليست جسما ولا جزءا منه ولا عرشا له . لأنها لا تتغير ولا تستحيل كما تتغير وتستحيل الأجسام . كما انها تقبل جميع الصور حاملة لها . على حين الاعراض محمولة ابدًا موجودة في غيرها لا تقوام لها بذاتها .

ومن ناحية أخرى ، فالجسم بأشكاله المختلفة يتشوق لافعال تناسبه . وهذه الأعمال نجد بينها وبين ما تشوق اليه النفس من افعال أخرى متسبة أو شبيهة .

تشوق النفس اذن الى ما ليس من طباع البدن من علوم مختلفة . وحرصها على طلب هذه العلوم واياها . وانصرافها عن الذات الجسمية . دليل على أنها من جوهر غير جوهر الجسم (١٢١) .

والامر كذلك في بيان قوى النفس وملكانها . فاننا نراه يفترق من معنى علم النفس عند الإغريق . وبعبارة ادق عند افلاطون : للنفس ثلاث قوى . واحدة بها الفكر والنظر في حقائق الأمور . وأخرى بها ما يتصل بالغضب والشجاعة من الأعمال . وثالثة وهي القوة الشهوية يكون عنها ضروب الذات الحسية وما يتصل بها .

وهذه القوى الثلاث متعارضة متباينة . وتتوسى احداها تكون على حساب الآخرين . وعوامل القوة والضعف ترجع الى المزاج والبيئة احيانا . وإلى العادة ومنوف التاديبات احيانا أخرى (١٤) .

ولقد جاء ذلك في مقائله الأولى في كتاب « تهذيب

له . فليس كل ذي روح ذا نفس . ولكن كل ذي نفس ذو روح » ( ١٨ ) .

وهذه التفرقة الأخيرة تدلنا على ان التوحيدى قد فهم « الروح » على انها مبدأ الحياة في الكائن الحي . فنسب الى الحيوان « روحا » هي التي تشيع الحياة في اعضاء جسمه . بينما اعتبر « النفس » جوهر قائما بذاته هو مبدأ « العقل » في الوجود البشري . فوقف كلمة « النفس » على الانسان من حيث هو كائن ناطق ( ١٩ ) .

#### رأي ابن سينا في النفس :

لقد اهتم ابن سينا ( ٢٠ ) بمسألة النفس وعالجها في كثير من كتبه . وكانت تسيطر عليه فكرة ان النفس منزلة من العالم العلوي . ولهذا فهو متردد في تقرير الصلة بين النفس والجسد . يقول انها متفقة مع الجسد في النوع والمعنى . فهي اذن قوة من قوى الجسد . تتخلق من مادته التي يخلق منها . اي ان مادتها محسوسة ملموسة . ولكنه يعود فيقرر انها تفيض عليه من العقل الفعال . ثم يعود فيقول ببديهيها وخلودها وبانها جاذبة بحدوث البدن وباقيته بعده . فلا تنهدم بانعدامه بل تظل محتفظة بكيانها عندما تنفصل عن هذا البدن .

ويقول ابن سينا ان النفس الناطقة (اي الإنسانية) هي جوهر واحد ، وهي كمال اول لجسم طبيعي آلي .

وهو يعرف النفس ايضا « بأنها صورة لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة » ، كما فعل ارسطو والفارابي من قبل .

ولقد افرد الفيلسوف ابن سينا في كتابه « النجاة » وهو المختصر من كتابه « الشفاء » ، فصلا في ان النفس لا تموت بموت البدن ، يقول فيه : « نقول انها لا تموت — اي النفس — بموت البدن ، ولا تقبل الفساد لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق . فاما ان يكون تعلقه تعلق المكاني في الوجود ، واما ان يكون تعلق المتعلق به في الوجود ، وذلك امر ذاتي لها لا بالزمان . فان كان تعلق النفس بالبدن تعلق

المكاني في الوجود وذلك امر ذاتي لها لا عارض ، فكل واحد منهما مضاف بالذات الى صاحبه . فليست النفس ولا البدن بجوهر واحد ولكنهما جوهران . وان كان ذلك امرا عرضيا لا ذاتيا فاذا فسد احدهما بطل العارض الاخر من الاضافة ولم تفسد الذات بفساده . وان كان تعلقه به تعلق المتأخر في الوجود فالبدن علة النفس في الوجود . والعلة اربع ومحال ان يكون البدن علة فاعلية . فان الجسم بها هو جسم لا يفعل شيئا ، وانها يفعل بقواه . ثم القوى الجسمانية كلها اما اعراض اما صورة مادية . ومحال ان تفيد الاعراض او الصورة القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة . ومحال ايضا ان يكون البدن علة قابلية ففسد بيئا وبرهنا ان النفس ليست منطبقة في البدن بوجه من الوجود . ومحال ان يكون البدن علة صورية للنفس او كمالية . فان الاولى ان يكون الامر بالعكس . فاذن ليس تعلق النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية .. » .

ويقول ابن سينا بين ثلاثة انواع من النفوس : النفس النباتية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الانسانية . فالنباتات له نفس . لانه يتغذى وينمو ويولد المثل . والحيوان له نفس . لان الوظائف السابقة توجد لديه ، بالاضافة الى قوى اخرى ، وهي الاحساس والحركة الارادية . وللانسان نفس ، اذ توجد لديه نفس الوظائف السابقة عند الحيوان والنبات ، بالاضافة الى قوى اخرى ، وهي الملكات العقلية والوجدانية ( ٢١ ) .

وتقسم ابن سينا مواهب النفس الى اربعة اقسام :

- ١ — الخواص الظاهرة او الحواس الخمس .
- ٢ — الخواص الباطنية .
- ٣ — الخواص الحركية .
- ٤ — الخواص العاقلة .

وتقسم كل خاصة منها الى اقسام ادق . فذكر القوة الوهية وبها يكون للحيوان حكمة كما يفعل الانسان بقوة الفكر او التأمل . فانه بالوهم تعلم النشأة ان سفارها في حاجة الى حناتها . وانهم في خطر من الذنب . وبهذا وضع ابن سينا حدا فاصلا بين

## أضواء علم النفس البشرية

مستقل يحتوي على جملة آرائه الرئيسية في النفس (٢٢). وكان أوغى ما كتب في هذا الباب . عدا رسائل أخرى منها : « زبدة قوى الحيوانية » و « مقالة في القوى الإنسانية وأدراكها » و « رسالة في انقوى الجسمانية » و « مبحث عن القوى النفسانية » و « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها » و « رسالة في الكلام عن النفس الناطقة » .

وكان لهذه الرسائل أثرها العظيم عند الفلاسفة والمفكرين في أوروبا . حتى أن إحدى هذه الرسائل وهي « مبحث عن القوى النفسانية » نقلت مع شروحها والتعليقات عليها إلى سبع لغات هي : العربية ، والسريانية ، والعبرية ، واللاتينية ، واليونانية ، والألمانية ، والفارسية ، بين سنة ١٥٤٦ و ١٨٧٥ ونشرت سنة ١٨٨٢ باللغة الإنجليزية (٢٣) .

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب وضعه ابن سينا حين كان في السادسة عشرة من عمره . وكان قد دعى إلى بخاري لمعالجة الأمير نوح بن منصور بن نصر الساماني ، صاحب خراسان ، من مرض اعتراه . فآخذ يعالجه حتى برى ، واتصل به وقرب منه . وأهداه هذا الكتاب الذي جعل عنوانه وتذاك : « هدية الرئيس للأمير » ، وهي مبحث عن القوى النفسانية ، أو كتاب في النفس على سنة الاختصار ومقتضى طريقة المنطقيين » .

و جاء هذا الكتاب في عشرة فصول هي :

**الفصل الأول —** في اثبات القوى النفسانية التي شرع في تفصيلها وإيضاحها .

**الفصل الثاني —** في تقسيم القوى النفسانية الأولى وتحديد النفس إطلاقاً .

**الفصل الثالث —** في أنه ليس شيء من القوى النفسانية حادث عن امتزاج العناصر الأربعة بل واردة عليها من الخارج .

**الفصل الرابع —** في تفصيل القول في القوى النباتية وذكر الحاجة إلى كل واحدة منها .

**الفصل الخامس —** في تفصيل القول في القوى الحيوانية وذكر الحاجة إلى كل واحدة منها .

**الفصل السادس —** في تفصيل القول في الحواس

الحقيقية وفلاسفة اليونان الذين خلطوا بين تلك القوى وبين قوة الخيلة .

أما فيما يتعلق بصلة العقل المؤثر بالنفس البشرية فلم يحاول ابن سينا أن يقرر رأياً . وهو كسائر فلاسفة الإسلام يرى في تلك الصلة اسماً ما تتطلع إليه النفس البشرية فينادي بغير المادة وتظهر النفس من أدراكها ، حتى تصير وعاء نقياً طاهراً لتسلح لللقى الإلهام الإلهي .

ويرى ابن سينا أن الكمال الحقيقي للنفس العاتلة التي تشد المعرفة خفى . ومحصيها عنده أن تكون عالماً فعلياً تنبسط فيه صور الموجودات . وترتبين ويبدأ هذا الترتيب بالخير العام . ثم المواد الروحية ، عارفة بأتم الأشياء كالجمال التام . والخير التام . والمجد التام . فتتصل به وتصير مادة نقية . ولكن ما دامت النفس متعلقة بالعالم الأرضي فلا تستطيع أن تشعر بتلك السعادة لما يحيط بها من الشهوات وأنواع الفتنة والهوى .

ولا يستطيع الإنسان الخلاص من تلك الإدارة إلا إذا تعلق بأهداب العالم العقلي فتجذبه رغبتة اليه وتصوره عن النظر إلى ما وراءه . وهذه السعادة لا تنال إلا بممارسة الفضائل والكمالات .

ثم يتحدث عن سميت نفوسهم وتهدت ارواحهم فيقول أنه يوجد رجال ذوو طبيعة طاهرة . اكتسبت نفوسهم قوة بالطهر . وتتعلقها بالمسالم العقلي ، فتستطيع ارواحهم أن تلبس بتلك الطهارة المجهول . وتترك كثيراً مما يخفى على العقل .

ثم يأخذ ابن سينا في شرح مراتب الاتصال وأسراره إلى أن يصل إلى فئة يطلق عليهم اسم أصحاب العقل المقدس والنفس الطاهرة الزكية . ثم يقول : « وأن هذا العقل لمن السمو بحيث لا يمكن لكل البشر أن ينالهم منه نصيب » .

ولابن سينا رسائل كثيرة عن « النفس » جاءت متفرقة في كتابه « النجاة » ولقد جمع أطراف هذه المباحث النفسية ونسقها وربط بين أجزائها في رسالة على حدة . هي الرسالة التي تسمى « أحوال النفس » حتى يتسنى لطلال هذا العلم أن يطلع عليه في كتاب

الظاهرة وكيفية ادراكها وذكر الخلاف في كيفية الابصار .

**الفصل السابع -** في تفصيل القول في الحواس الباطنة والقوة المحركة للبدن .

**الفصل الثامن -** في ذكر النفس الانسانية من مرتبة بدنها الى مرتبة كمالها .

**الفصل التاسع -** في اقامة البراهين الضرورية في جوهرية النفس الناطقة على طريقتة المنطق .

**الفصل العاشر -** في اقامة الحجة على وجود جوهر عقلي مفارق للجسام قائم للتسوى المنطقية مقام اليبوغ ومقام الضوء للإبصار . وبيان ان النفوس الناطقة تبقى متحدة به بعد موت البدن آية من الفساد والتغير وهي المسماة بالعقل الكلي .

\*\*\*

ولقد اثر عن ابن سينا جملة صالحة من الشفس تمازجه الحكمة ، وتتخلل الفاظه الغضبية ازاخير الخيال النير . فهو يقول في النفس والحكمة :

**هذب النفس بالعلوم لترقى  
وذر الكل فهي لكل بيت ..  
انما النفس كالأزجاجة والعلم  
سراج ، وحكمة الله زيت  
فاذا اشرقت فانك حي ،  
واذا اظلمت فانك ميت**

وفي هذا المعنى يقول ايضا :

**خير النفوس العارفات ذاتها  
وحقيق كميات ماهياتها  
وبما الذي حلت ومم تركزت  
اغضاء بنيتها على هيئاتها :  
نفس التبات ونفس حس ركبها ،  
هلا كذاك سماته كسماتها ؟  
يا للرجال لعظم رزء لم تسزل  
منه النفوس تخب في ظلماتها**

كما ان له ايضا قصيدة عينية مشهورة في النفس توضح آراءه فيها ، ويبين فيها احوال النفس الناطقة وتعلقها بالبدن وفراقها عنه . وهي تتسق مع تعريفه للنفس . ومع براهينه على وجودها . وهي تذكرنا الى جانب ذلك باساطير افلاطون بعض الشيء ، فيها بيان لاصلها ومصيرها ، وفيها اشارة الى الاجنحة ، والنذكر والنسيان ، والحنين الى الصعود ، وادراك الحقائق الخالدة الثابتة .

وسوف ننشر هذه القصيدة مشروحة فيها بعد لما فيها من فائدة ومتعة .

\*\*\*

**رأي الغزالي في النفس :**

لقد فرق الامام الغزالي (٢٤) بين النفس والروح والعقل في كتابه « احياء علوم الدين » . ولكنه كتب مقدمة كتابه « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » عن « معاني الالفاظ المترادفة على النفس وهي اربعة : النفس والقلب والروح والعقل » . ثم قال : « ان النفس يراد بها حقيقة الادمى وذاته . فان نفس كل شيء حقيقة . وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات . وهو من عالم الملكوت ومن عالم الامر على ما نبين .. نعم تختلف اسمائها باختلاف احوالها العارضة عليها . فان اتجهت الى صوب الصواب ونزلت عليها السكينات الالهية وتواترت عليها فتحات فيض الجود الالهي فطمئن الى ذكر الله عز وجل وتسكن الى المعارف الالهية وتطير الى اعلى افاق الملكية فيقال نفس مطمئنة .. » (٢٥) .

ثم هو يقول بعد كلام طويل في الصفحة ١٣ من نفس الكتاب : « ونحن حيث اطلقنا في هذا الكتاب لفظ النفس والروح والقلب والعقل ، فنريد به النفس الانسانية التي هي محل المعقولات .. » . ثم ينهني بخاتمة تتعطف على ما سبق من معرفة النفس وتواها وبذلك « يتدرج الى معرفة الحق جل جلاله ومعرفة صفاته واعماله لان المباديء انما تراد للنهايات ، والنهايات انما تظهر للمباديء . فكل علم لا يؤدي الى معرفة الباري جل جلاله فهو عديم الجدوى والفائدة ، وقليل النفع والعائدة » .. ويقول :

## أضواء على النفس البشرية

أذن تتصل بالعقل الفعال الذي هو محل المعقولات الازلية الإبدية ، وباتصالها بهذا العقل الفعال تصير بدورها أبدية ...

وليس الأمر كذلك في النفس ، لان النفس عند هؤلاء الفلاسفة هي القوة المحركة التي تحيي الأجسام الطبيعية الآلية ( العضوية ) وتغذيها وتنميتها ، وهي نوع من القوة يحيى المادة ، وليس مخلصا من غواشيتها كخلوص العقل ، بل هو عكس ذلك شديد الاختلاط بها ، حتى ان النفس قد تكون متكونة مما يشبه المادة أو من مادة لطيفة بالغة اللطف . وهذه النفوس الإنسانية « صور » للأجسام ، وهي لذلك لا تتقوم بها بل تبقى بعدها وتستطيع ان تحيا منفردة بعد فناء الأجسام .

وليس هذا البقاء عند ابن رشد الا مجرد امكان فحسب ، فهو لا يعتقد ان الأدلة الفلسفية البحتة تستطيع ان تعطينا برهانا قاطعا على خلود النفس اذا تصورناها على هذا النحو . وحل هذه المسألة مقروك الى الوحي ( ٢٨ ) .

واذا قال ابن رشد بوحدة النفوس ، فانما يقصد بذلك ان الإنسانية تعيش عيشة دائمة ، وان خلود العقل الفعال هو احياء للإنسانية واستمرار دائم للبدنية . ويعلق على هذا الاستاذ لطفى جمعه في كتابه « تاريخ فلاسفة الاسلام » فيقول :

« .. تلفت نظر الباحثين الى الاتفاق التام بين هذا القول وبين نظرية اوجست كونت في خلود الإنسانية وبقائها ، تلك النظرية التي ادت به الى وضع دين الإنسانية ، فأقيمت له معابد في بعض ممالك الغرب .. »

\*\*\*

### **النفس عند ابن عربي :**

ابن عربي ( ٢٩٦ ) فيلسوف لم يشذ عن امثاله من المفكرين . فله رسالة في النفس كما للكندي والفارابي وابن سينا وان كان اقل منهم تحديدا ودقة . وقد عنى في هذه الرسالة ببيان النفس ما هي ، وبالإشارة الى ما فيه خيرا وسعادتها .

انه النفس — فيما يقول — هي ما يعنيه الواحد منا حين يقول « أنا » ومع هذا فالحكماء ليسوا على

« أنا اثبتنا النفس على الجبله بمعرفه اثارها وافعالها . فالنفس الثبانية عرفناها بآثارها من التغذية والتنمية وتوليد المثل . والنفس الحيوانية بآثارها من الحس والحركة الاختيارية . والنفس الإنسانية بالتحريك وادراك الكليات . وعلينا ان هذه الأعمال تتعلق بمبدأ ، يسمى ذلك المبدأ نفسا فيكون قوامها وجودها وخاصيتها بذلك المبدأ الذي هو النفس فذلك فاعلم ان الموجود على قسمين : اما ان يتعلق وجوده بغيره بحيث يلزم من عدم ذلك الغير عدمه لا يتعلق . فان تعلق سميناه ممكنا ، وان لم يتعلق سميناه واجبا بذاته . فيلزم من هذا في واجب الوجود معرفة أمور ... » ( ٢٦ ) .

وآراء الغزالي في النفس — كما نرى — لا تكاد تخطف في قليل او كثير عن آراء ابن سينا فهو يتبعه خطوة خطوة في بيان صفاتها والبرهنة على وجودها وخلودها .

ونكتفي هنا بهذا القدر عن رأي الغزالي في النفس لنحيل القاريء الكريم الى نفس المحاضرة القيمة التي نشرتها « البيان » للدكتور عزت شعلان ( العدد ١١٩ — فبراير ١٩٧٦ ) ، فلقد جمعت فأوعت .

### **النفس عند ابن رشد :**

واما ابن رشد ( ٢٧٧ ) فيعتبر النفس والروح كائنا واحدا فضلا عن تكراره القول بغموض مسألة الروح في كتابه « فصل المقال » .

وقد اتهم ابن رشد بأنه يذهب الى ان النفوس الفردية تندمج في النفس الكلية بعد الموت ، وانه ينكر على هذا النحو خلود كل نفس انسانية على انفرادها ، وليس هذا من الحق في شيء ، اذ انه يجب ان نميز في مذهب ابن رشد — كما في مذاهب غيره من الفلاسفة — بين « النفس » و « العقل » ، فالعقل مجرد غاية التجريد مخلص من المادة ، ولا يكون بالفعل الا اذا اتصل بالعقل الكلي او العقل الفعال ، وما نسبيه عقلا عند الانسان ليس الا قوة او استعدادا لقبول المعقولات الصادرة عن العقل الفعال ، ونسبى هذه القوة « العقل المنفصل » ، وهي ليست موجودة بالفعل وانما يجب ان تخرج الى الفعل وان تصير « عقلا مستفادا » ، فهي

اتفاق على معناها . فمنهم من يرى انها مادة جسمية تكون في هذا الجسم المرئي المحس ، وآخرون يرون انها جوهر روحاني منتشر في الجسم .  
ومهما يكن ، فهي التي تعطي الجسم الحياة ، وتتخذ آلة لاكتساب العلوم ، التي بها يمكن ان تصل لكمالها الخاص والى معرفة ربها . وبهذه الطريقة تكون مستعدة لان ترقى حتى تمثل في حضرة الله ، كاتبها في حضرة اخلص احبابها ، فتصير في حالة من الغبطة لا نهاية لها (٣٠) .

ولكى يوضح الفرق بين النفس والجسم نراه يقول : « ان الله جعل الانسان من عنصرين ، جسم روحي مظل ، وجوهر بسيط مثير كسائر الجواهر الفارقة للمواد ، يبعث في هذا الجسم الحياة . هذا الجوهر هو النفس الناطقة ، او هو العقل ، على حد تعبير الفلاسفة ، او النفس المطمئنة على حد تعبير القرآن ، او القلب في اصطلاح المتصوفة . وجدت قبل والنفس معها تعددت اسمائها ، وجدت قبل الجسم وان تفنى بفنائها ، وليست كل النفوس على درجة واحدة في الكمال ، او سواء في تعلقيها بالاجسام وظلماتها ، وكمالها يرجع الى ما تبذل من جهد في العلم ، وفي الخلاص من أسر الجسم والشهوات (٣١) .  
ولقد قسم الشيخ محيي الدين النفس الى ثلاث قوى اي نفوسا ، وهي : النفس الشهوانية ، والنفس الغضبية ، والنفس الناطقة . وقال : « ان جييع الاخلاق تصدر عن هذه القوى . فمنها ما يختص باحداها ، ومنها ما يشترك فيه قوتان ، ومنها ما يشترك فيه القوى الثلاث . ومن هذه القوى ما يكون للانسان وغيره من الحيوان ، ومنها ما يختص به الانسان فقط . اما النفس الشهوانية فهي للانسان ولسائر الحيوان . وهي التي يكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمية كالادغام الى الماكل والمشارب والمباضة . واما النفس الغضبية فيشارك فيها ايضا الانسان وسائر الحيوان . وهي التي يكون بها الغضب والجرأة ومحبة الغلبة . وهذه النفس اقوى من النفس الشهوانية واضر بصاحبها اذا ملكته وانتاد لها . واما النفس الناطقة وهي التي بها نميز الانسان من جميع الحيوان وهي التي بها

يكون الذكر والتبويض والفهم ، وهي التي بها شرف الانسان وعظمت همتة . » (٣٢) .

### ماذا قال اخوان الصفا في النفس ؟

لقد كان لجامعة اخوان الصفا (٣٣) رأي في النفس يعتد به ، ولهم مذهب في هبوط النفس من رأي في العلوي الى الارض ، وفي تقرير مصيرها بعد ذلك بما تكون قد قدمته من اعمال . ويتجلى هذا المذهب في رسائلهم الجامعة المعروفة . فمن اقوالهم المبثوثة في هذه الرسائل يتبين لنا انهم يرون ان « النفس الكلية انصرفت الى العقل الكلي علتها ، تقبل منه الفيض والفضائل ، وتترأى فيها المثلث العقلي على انوار روحانية . وهي منعمة . مسرورة . غير انها ارادت التشبه بعلمها . فتكون نافعة ، تفيض على كائن اخر ما انماضة العقل الكلي عليها ، فيمكنها الواحد من الجسم ، وهما لها . خالقا عالم الاملاك وأطباق السموات ، من العقل المحيط الى منتهى مركز الارض ، فتحركت النفس الكلية حركة اخطائية . وصورت في الاشياء المخلوقة صورة لما في ذاتها . وجرى امر النفس الكلية على هذا الحال زمانا مديدا ، على احسن نظام الى ان كان من آدم ما كان . فاعطيت النفوس الجزئية الى مركز الارض . واتحدت بالاجسام السفلية ، وفارق الاجرام العلوية . استحق منها العذاب لما كان منه من النسيان والخطيئة . وانقسمت هذه النفوس الجزئية الى ثلاث فرق : الاولى اتحدت بجوهرية المعادن . والثانية اتصلت بجوهرية النبات ، والثالثة اتحدت بجوهرية الحيوان . ثم عطف النفس الكلية بعد ذلك راجعة الى قبول الفيض العقلي بالتبوية والاستغفار لمن في الارض . » (٣٤)

ولقد عرفوا النفس بانها « جوهره سماوية نورانية حية . علامة نعمة بالطبع ، حساسة دراكسة لا ثبوت ولا تنفى ، بل تبقى مؤبدة ، اما ملنفة ، واما مؤنلة . »  
اما قواها فهي عندهم كثيرة . يقولون انها لا يحصى عددها الا الله . وهم يذكرون منها : الباصرة ، والسامعة ، والشابة . والذائقة ، واللاسمعة ، والمتخيلة ، والذاكرة . والمفكرة ، والحائثية ،

## أضواء على النفس البشرية

وأما طلوع الى فوق بحيث يمكنه مثل ذلك . وأما استواء طيران في الهواء وطلوع الى السماء فانها لا يمكنها بهذه الطينة الكثيفة ترتقيها الى هناك ، بل يمكنها الصعود بمجرد اذا تخلصت منه وانفصلت عنه .

« وذلك ان السفينة في البحر المحركة الالة المتقنة الالة تتر فيه بين يرب امرها ويصلح حالها ، ومع ذلك فانها لا تسير الا بهبوب الرياح القائدة لها الى الجهة التي يختار صاحبها ، واذا سكنت الريح وقفت السفينة عن ذلك الجريان . كذلك جسد الانسان اذا غارقه النفس لا تنهيه له تلك الحركة التي كان يتحرك بها مع النفس . ولم يعدم من آتته شيئا ولا ذهب منه عضو من الاعضاء الا ذهاب الروح منه فقط . والبرهان ان الريح ليست من جوهر السفينة ولا السفينة حاملة بل الريح محركة لها .

« فاذا صح ان الريح محركة للسفينة وليست من جوهر السفينة ولا تقدر السفينة ومن فيها على استرجاع الريح بعد ذهابها بحيلة يعملونها او صنعة يستعملونها كذلك ليست الروح من جوهر الجسم ، ولا الجسم حائل للروح ولا يقدر احد من العالم على استرجاع النفس اذا فارقت الجسم .

« فيا ليت شعري كيف يفسد هذا البرهان الا بهكابة العيان !.. فاذا تحققت ذلك وعليت ان جسمك انها هو سفينة معدة لهبوب الرياح ونزولها عليها ، علمت ان هلاك السفينة — اذا هلكت — يكون من حالين : اما بفساد من جهة جرمها واخلال تركيبها فيدخل الماء ، ويكون ذلك سبب غرقها وهلاكها وهلاك من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوا بالاصلاح والتفقد لها ، كهلاك الجسم من غلبة احدى الطبايع متى تهاون صاحبه وغفل عنه ، كذلك النفس لا تبقى مع الجسد اذا فسد مزاجه ، وتعطل نظامه ، وضعت الله كما لا يتبها للريح ان تعود للسفينة كما كانت تسوقها من قبل غرقها ، والريح موجودة في هبوبها غير معدومة من الموضوع الذي كانت السفينة فيه قبل هلاكها ، كذلك النفس باقية في معادها كبقاء الريح في افئها بعد تلف الجسم ، وانما يكون الفرق للركب بفساد آتته وهلاك الجسم بفساد مزاجه وغلبة طبايعه .

والناطقة ، والكائنة ، وهلم جرا . اما كيفية حصول المعلومات فيها فهم يتصورونها على النحو الآتي :

« بيان ذلك ان القوة المخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات من القوى الحاسة ادركت وادت اليها فتجميعها كلها وتؤديها الى القوة المفكرة التي مجراها وسط الدماغ حتى تميز بعضها من بعض ، وتعرف الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، والضر من النافع ، ثم تؤديها الى القوة الحافظة التي مجراها مؤخر الدماغ لتحتفظها الى وقت الحاجة والتذكر .. ثم ان القوة الناطقة تتناول تلك الرسوم المحفوظة وتعتبر عنها عند البيان للقوة السامعة من الحاضرين في الوقت » .

وفي رأيهم ان حالة النوم تبين اوضح تبين دور النفس واهميتها ، فاذا استولى السبات على الانسان ، هذات الحواس ، وسكنت الحركات ، وقابلت حالة الجسم المدينة في الليل : تغلق ابوابها ، وتتصل صناعاتها ، وتخلو طرقاتها ، وينام سكانها . ثم يتجلى مبلغ اثرها بعد ان تفرقه نهائيا ، فاذا بلغ ما كان يظهر منه من عمل يتلاشى ويصبح الجسم كالمدينة الخربة التي تهاوت جدرانها ، وخرت سقف منازلها ، يتغير وينتفخ ويصير ماوى الديدان ، ويتحول ترابا . (٣٥) ولاخوان الصفا كلام كثير كثير عن النفس اثبتوه في رسائلهم الجامعة تجتزئ منه الرسالة التالية التي يفتنون فيها رأي القائلين بان الجسم وعاء للنفس ، ذاهبين على العكس من ذلك الى ان الجسم محمول لا حامل ، وهي رسالة لها اهميتها وفائدتها :

« ... واعلم انه (اي الجسم) محمول لا حامل — كما ظن كثير ممن لا علم عندهم ولا معرفة معهم ان الجسم حامل النفس ، وانه زبدته وصفوة طبايعه ، وانها تقوى بقوة الغذاء ، وتضعف بضعفه ، وليس الاثر على ما ظنوا ولا القضية كما توهموا ، وانما النفس حاملة للجسم واعراضه ، وهي الذاكية به في الجهات التي يجب لها ، وهي معه تدبره في مجيئه وذهابه ، وبها يستقر على ما يجانسه ويشاكله من الكائنات ، اما في جهة من الجهات الارضية من هبوط الى اسفل بحيث يكون له ثبات الثقلين في الهبوط ،

مؤلفات عديدة منها « شرح كتاب المجسطي لبطليموس » ، وأكثر كتب أرسطو ، كما شرح رسالة زينون ونصوص الحكم .. ومن مؤلفاته : كتاب السياسة المدنية ، وعيون المسائل ، والمدنية الفاضلة ، والثمرة المرضية . وغيرها من الكتب الكثيرة ، وقد اطلق عليه المسلمون « المعلم الثاني » كما اطلق على أرسطو « المعلم الاول » (٢) عن « الثمرة المرضية » للفارابي ص ٧١ .

(٣) القاطقة : العاقلة .

(٤) منبئة : توجد موزعة .

(٥) مفارقة : مستقلة عن المادة .

(٦) الفساد : القضاء .

(٧) فخر الدين ابو عبدالله محمد الرازي ( ١١٤٩ - ١٢٠٩ ) : متكلم ، وفيلسوف ، ارتبطت شهرته بتفسيره القرآن في كتابه « مفاتيح القاب » الذي عرض فيه حصيلة ثقافته : كلابية ، وتفسيرية ، ودينية ، توفيقاً بين الدين والفلسفة . اشتغل بالتدريس ثم الوعظ وثلاثة القرآن . ومؤلفاته كثيرة منها الفلسفية مثل « شرح الإنشادات والتنبيهات » ، و « المباحث المشرفة » ، و « محصل أفكار المتفكرين والمتفكرين » ، ومنها الفقهية مثل « أصول الشافعية » ، و « المحصول » ، و « مقابلات الإمام الشافعي » .

(٨) انظر كتاب « المطالب القدسية في احكام الروح وانوارها الكونية » للشيخ محمد حسين مخلوف . الطبعة الثانية ص ٢٣٧/٢٣٨ الطبع .

(٩) هو أبو علي احمد بن محمد مسكويه من فلاسفة الاسلام الذين جمعوا بين ثقافة الإغريق وثقافة الاسلام . وضموا طرفاً من حكمة الروم والهند الى حكمة العرب والفرس ولد بالري سنة ٣٢٠هـ ومات بأصبهان عام ٤٢١ هـ .

(١٠) عن « الحياة الأخرى » للدكتور عبد الرزاق نوفل ص ٦٣ .

(١١) لعله يقصد بهذا قوله تعالى « في أي صورة ما شاء ركبك »

(١٢) انظر كتاب « راجا يوجا » للاستاذ حسن حسين الطيمعة

الأولي ١٩٢٦ عن كتاب « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه .

(١٣) اقراً « تهذيب الأخلاق » ص ٢ و ٥ و ١٢ و ١٣ و « النور

الاصفر » ص ٢٢/٢٥ .

(١٤) نفس المرجع ص ٨٤/٨٥ .

(١٥) هو أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي . ولد ببغداد سنة ٣١٠ هـ من أبوين فقيرين إذ كان أبوه تاجراً منتقلاً يبيع نوعاً من التمر المعروف باسم « التوحيد » . ويقال انه حرم في طفولته من كل عطف وحنان ، غاشت حياته منذ البداية بطابع القبح

« ولما القسم الثاني فهو ان يكون المركب هلاكه بقوة الريح العاصفة الهابة الوارد منها على السفينة ما ليس في وسع ألتها حمله ولا القدرة عليه فتضعف الآلة وتتكسر الاداة ، فان كان من فيها من أهلها عارفين موجب ذلك الامر من نزول ذلك العاصف وأنه بموجب المقدار اطبأت نفوسهم وسلموا الى ربهم ووعظ بعضهم بعضاً ، وصبروا على ما نالهم ، فان زاد بهم الامر حتى يقطع السفينة ما يكسرهما ويكون منهم ما قضى ، كانوا مطمئني النفوس ولا يتهمونها ، إنما أصابهم ذلك لتفريط وقع منهم ، كذلك الاحوال العارضة للجسم من جهة الاحكام الفلكية والحركات النفسانية المنبئة اولاً من النفس الكلية التي تذهب بالاجسام وتهدمها لا دواء للمعاج والطبيب ولا للمريض ايضاً . « فاما الصبر عليها وقلة الجزع منها الى ان تزول او يكون بها الانتقال الى دار المعاد ، فالحق ما صبر عليه واولى ما استجيب له .

وبهذا الاعتقاد صبح ان النفس هي جوهر غير الجسم ، وانها هي الحاملة له المبجلة به ، فإذا تصورت ذلك وصح عندك وتم لك العمل بهذه الفيلسوف فقد استراحت نفسك من الهم والغم من اجله وبسببه . » (٣٦) .

## عبد العزيز جادو الاسكندرية



(١) هو أبو نصر محمد بن طرخان اوزلغ الفارابي ، ولد في مدينة الفاراب من أعمال خراسان حوالي سنة ٢٥٩ هـ . وتوفي في مدينة دمشق سنة ٣٣٩ هـ من ٨٠ سنة . ويعد الفارابي من افضل شراح العرب لثقافة أرسطو ، وقد تلمذ الرئيس ابن سينا على كتبه . وكان الفارابي في اول امره ناطقوا في بستان بدمشق ، وكان يشغل بالحكمة في الليل على ضوء قنديل حارس البستان . وقد تلقى على بعض علماء المسيحية في عصره ومنهم يوحنا بن حيلان في أيام المقتدر ، فآخذ منه المنطق فبرع فيه واستمر كذلك مدة حتى عظم شأنه وعلت منزلته عند الأمير سيف الدولة التتلي . وللفارابي



# أضواء على النفس البشرية

(٢٤) هو حجة الاسلام أبو حامد محمد الغزالي ، ولد بطوس من أعمال خراسان عام ٤٥١ هـ ومات بها سنة ٥٠٥ هـ ( ١١٠٨ - ١١١١ م ) ، أي بالغا من العمر ٥٤ عاما بعد أن مثل دورا مهما في الحركة الدينية والفلسفية في عصره . وكان ذا عقل لذي ونفس كريمة ، لم تر العيون مثله لسانا وبيانا وخطرا ونقاء وعلما وعملا . غالى أثره من لآلذة الحرمين وانتشر صيته في الأقطار . وصنف كتابا لم يصنف مثله . ثم حج وترك الدنيا واختار الزهد والعبادة وبالف في تهذيب الأخلاق . ومن مؤلفاته : المتكل في علم الجدل ، والتبر السبوك ، وأحياء علوم الدين ، ومقاصد الفلاسفة الذي ترجم إلى اللاتينية وطبع في فيينا سنة ١٥٠٤م . ونهات الفلاسفة وتوجد له ترجمة عبرية خطية في مكتبة فرنسا الوطنية . وكتاب المنقذ من الضلال ، ويزان العمل الذي ترجم إلى العربية واللاتينية . والوسيط في الفقه ، ومعيار العلم ، ومشكاة الأنوار ، وكتاب الدرة الفاخرة الذي ترجمه جونيه وطبع في جنيف عام ١٨٧٨ م .

(٢٥) صفحة ١٠

(٢٦) انظر كتاب « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » للغزالي ص ١٤١ .

(٢٧) هو أبو الوليد ابن رشد المالكي ( ٥٢٣ - ٥٩٥ هـ ) ( ١١٢٦ - ١١٩٨ م ) ، وزير دهره وعظيمه ، وفيلسوف عصره وحكيم . تولى رئاسة الفناوي في مراكش ثم استوطن اشبيلية فاشتهر بالقدم في العلوم حتى غاب أهل زمانه وطرا ذكره في افطار الأدلس والمغرب . ولد في قرطبة من أسرة معروفة بالأدلس وكان جده لوالده قاضي القضاة . وله مؤلفات جليلة عزيزة الوجود منها ٩: كتاب الكليات وهو مؤلف طبي في سبعة أجزاء ، وكتاب مختصر الجسطي . وهذا فضلا عن الشروح التي قام بها لكتب أرسطو وهي على ثلاثة أنواع : مطول ، ووسط ، ومختصر . وأغلب مؤلفاته ترجم إلى اللغتين العبرية واللاتينية ، ويندر وجود نصها العربي .

(٢٨) انظر « دائرة المعارف الإسلامية » ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وانظر أيضا كتاب « نهات التهافت » ص ١٢٧ .

(٢٩) هو الشيخ الأكبر سلطان الماريني سيدي أبو بكر محمد ابن علي بن عبدالله الحاشي الملقب بمحيي الدين بن عربي . ولد « بمرسية » يوم الاثنين سابع رمضان سنة ٥٦٠ هـ وتوفي سنة ٦٣٨ هـ ( ١١٢٦ - ١٢٤٠ م ) - فيلسوف ، صاحب مذهب ومؤسس مدرسة . ولكنه فيلسوف اثر أن يميل منهج العقل الذي هو منهج التحليل والتركيب وباخذ بمنهج التصوير العاطفي والمزج والاشارة والاعتماد على أساليب الخيال في التعبير . وربما كان له غزوة في كل

والحرمان . وكان هذا الحرمان سببا في التجائه إلى المدرس والتحصيل ، عله يجد فيه تعويضا عن بعض ما فاته من نعم الحياة . فنشغل على كبار علماء عصره ، فنقل أصول الفلسفة والمنطق والطبيعات والآليات والنسوف والفقه والحديث والنحو على يد أعظم مفكري القرن الرابع الهجري . وله مؤلفات كثيرة لها قيمتها ، منها « الإنعام والمؤانسة » و « المقاييس » و « الزلفى » و « الهوات لابن الصابي » و « الإشارات الإلهية » و « رياض المارفين » و « الرسالة الصوفية » و « المحاضرات والمناظرات » و « البصائر والزخائر » .

(٢٦) عن « البصائر والزخائر » تحقيق أحمد أمين والسيد صقر ص ١١٦ سنة ١٩٥٢ .

(٢٧) عن « المقاييس » تحقيق حسن السندوبي ص ٢٧٢ / ٢٧٣ - ١٩٢٩ .

(٢٨) عن « الإنعام والمؤانسة » تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ص ١١٢ - ١٩٤٢ .

(٢٩) انظر كتاب « أبو حيان النوهدي » للدكتور زكريا إبراهيم ( سلسلة أعلام العرب رقم ٢٥ ) ص ١٩٧ / ١٩٨ .

(٣٠) هو أبو علي الحسين بن سينا المشهور بالشيخ الرئيس ( ٣٧٠ هـ - ٤٢٨ هـ ) ( ٨٩٠ - ١٠٣٧ م ) ولد في قرية خرمين وكان في صفه سريع الذكاء . انتقل أبوه إلى بخارى وهي يومئذ حافلة بالعلماء في زمن نوح بن منصور من ملوك الدولة السامانية . حفظ القرآن وأخذ بقراء الفقه قبل أن يبلغ العاشرة من عمره . ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطب والطبيعية والفلسفة ، ثم تفرغ للتوسع في هذه العلوم . ومرت به أحداث مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلم من العذاب . ولعبت عليه شهواته الدينية فارتدت في مزاجه حتى أمانته بهذان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره . وله مؤلفات تربو عن المائة مصنف أهمها كتاب الطبي « القانون » ، وكتاب الشفاء ومختصره ، كتاب النجاة ، وتوجد مجموعة من كتبه في مكتبي أكسفورد وليدز .

(٣١) انظر كتاب « دراسات في الفلسفة الإسلامية » ص ٢٣ . وانظر أيضا « دائرة المعارف الإسلامية » ص ٢٢٢ .

(٣٢) انظر كتاب « أحوال النفس » تحقيق الدكتور أحمد نؤاد الإهواني ص ٩ .

(٣٣) انظر كتاب « هدية الرئيس للاجر » تحقيق ادوارد كيرلسون فنيك المستشرق الأمريكي . مطبعة المعارف ١٣٢٥ هـ . ص ١٠/٤ .

في  
المكتبات

# خواطر في عصر الانصاري

عبدالله  
زكريا  
الانصاري

ذلك لانه - ككل صوفي - يعالج مسائل يستعصى على العقل غير  
المزيد بالذوق أن يتركها ويستعصى على اللغة غير الرمزية أن  
تنصح عن أسرارها . ومنى كان العقل وحده أداة صالحة للوصول  
الى اليقين ، او الى الحقيقة التي تطحن اليها النفس ؟ - كتاب  
« فصوص الحكم » للدكتور ابو العلا عفيفي ص ٩ طبعة بيروت .

ولا ين عربي من المؤلفات ما لا يكاد العقل يتصور صدوره عن  
مؤلف واحد لم يتغل كل لحظة من لحظات حياته في التأليف والتحرير .  
بل شغل شظرا غير قليل منها فيما يشغل به الصوفية انفسهم من  
ضروب العبادة والجهادة . ولو قيس ابن عربي بغيره من كبار مؤلفي  
الاسلام أمثال ابن سينا والفرازي لبداهم جميعا في ميدان التأليف من  
ناحية الكم والكيف على السواء . فقد ألف نحو ٢٨٩ كتابا ورسالة  
على نحو قوله في مذكورة كتبها عن نفسه سنة ٦٣٢ - أو ٥٠٠ كتاب  
ورسالة على حد قول عبدالله جامي صاحب كتاب « نفحات الانس »  
او ٤٠٠ كتاب كما يقول التسعراي في « الوانيت والجواهر » .

(٢٠) انظر كتاب « مفكر الاسلام » للبارون كراي في ج ٤  
ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢١) المرجع السابق ص ٢٢١ وما بعدها .

(٢٢) عن كتاب « فلسفة الاخلاق » للشيخ محمد بن العربي

ص ٩ - ١٥ ( ١٢٢٢ هـ ) .

(٢٣) من اشهر الجماعات الاصلاحية التي اخذت على عاتقها  
وضع المؤلفات الفلسفية الدينية وبثها بين طلاب الحكمة ، وتسهيل  
الاطلاع على خفايا الشرائع . نشأ اخوان الصفا حوالي منتصف القرن  
الرابع الهجري . واحتلت في تاريخ الفكر العربي مقاما رفيعا . ولقد  
نشط اعضاؤها في السعي المتواصل الى اصلاح الاجتماعي والديني  
السي جانب ما قاموا به من تبسيط المعلوم ونشرها في بيئتهم .

(٢٤) عن كتاب « اخوان الصفا » للدكتور جوبر عبد النور ،  
عن « الرسالة الجامعة » جزء ثان ص ٢٩٦ - ٢٩٩ .

(٢٥) نفس المرجع عن الرسائل جزء ثان ص ٢٢٣

(٢٦) عن الرسائل ، جزء رابع ص ٢٩٦ - ٢٩٧



# ليلة المولد

## قصة قصيرة بقلم: رستم كيلاني

لؤلؤ

ويتختر بها .. ما دام الله قد فرجها  
عليه هذا الفرج الكبير ..

وبينما هو يسير .. و « عنتر »  
يخترق الهواء في خفة ، ودلال انقضت  
عليه ، وعلى العربية سيارة عالية  
كبيرة ، كأنها هوت عليه من السماء .  
وفي لحظات سريعة انقلبت العربية .  
وطار من فوقها المعلم « سحس »  
ليفترش الأرض ..

ولم يدر بعد ذلك على وجهه  
التحديد ماذا حدث له لأنه كان اقرب  
الى كابوس مروغ منه الى حقيقة  
مؤلة ..

لم يشعر بما حدث من اجراءات ،  
ولكنه احس فقط بأنه فقد حصانه  
« عنتر » الى الابد ..

وجلس المعلم « سحس » يبكيه ،  
يبكي رفيق عمره ، وجالب رزقه ،  
يبكي بحرارة الاب وهو يودع فلذة  
كبده ، لقد فقد « عنتر » الحصان  
الجميل ... ثم كيف يربي بعد ذلك  
ولده « كابل » .. كيف ؟ ايميل من  
جديد صبيا عند احد المعلمين ؟ لقد  
شقي وذاق الامرين من اجل ان يشتري  
الحصان والعربة ، نام على الأرض ،  
وشقي ، وجاع ، وعمل وواصل ليله  
بنهاره حتى تحققت أمنيته ..

وكان يقول في حيرة بصوت مخفوق  
بالبكاء :

« حسدوك يا عنتر .. يا خسارة  
.. حسدوك يا .... »

وتجع الناس من حوله يواسونه  
مرددين :

« سليه .. احمد ربنا انها جت .  
في الحصان » .

ولم يكونوا يدرون انه لو غدى  
« عنتر » بحياته ، فما فائدة حياته  
دون « عنتر » ؟

وبدا الجمع ينفذ من حوله ، كما  
بدا هو « يعدل » العربية ، وخلع  
السر من ظهر « عنتر » الملقى على  
الأرض غائدا الحياة ..

المعلم « سحس » وحده دهشة  
زملائه ، خاصة المعلم « حنفي »  
الذي تشاجر معه بسبب تساهله  
الكبير ومخالفته للأسعار التي اتفقوا  
عليها جميعا فيما بينهم ..

واوضح المعلم « سحس » موقفه  
منهم .. انه يرفض بها قسم الله له  
به اجر بسيط ، كان يشعر بما يشعر  
به الناس فهو انسان له حساسية  
خاصة ، يشفق على رجل هدته الايام ،  
وعلى امرأة تنوء بحمل صغارها .  
اما الاطفال .. فهو اب ايضا يشفق  
عليهم ويرد اليهم قروشهم ، ويركهم  
العربة بلا مقابل فهم احباب الله ،  
ويذهب بهم الى سيدنا الحسين ..  
ومدح يا حسين ..

\*\*\*

عاد المعلم « سحس » بعد آخر  
« نقلة » لسيدنا الحسين في طريقه  
الى السيدة زينب و « الموقف » ،  
وتراقصت امام عينيه الحلية الذهبية  
التي سيشترها لزوجه « أم كابل » ،  
والحقيقة الجدل لحفظ كتب « كابل »  
ولده الوحيد الذي يريد ان يربيه  
تربية « محترمة » — على حد قوله —  
والثراية الحمراء لحصانه « عنتر »  
ما اجهله عندها يعلقها في رقبتها

الليلة الكبيرة لمولد مولانا الحسين ،  
الاضواء سواطع في كل جانب من  
الميدان الفسيح الذي يغوص فيه  
الناس الوافدون من كل بلد ..  
وتحيط بالميدان القاهي الملووة  
بالرواد ، والسرادات التي تسوج  
بالوان الفنون الشعبية ..

وتنبعث من هنا وهناك اصوات  
المداحين ، ويخترق كل هؤلاء صوت  
ينبعث من المسجد الذي يمج بالناس ،  
صوت مفرىء معروف ينلو بعض آيات  
بن ذكر الله ..

وفي خلال ايام المولد كان المعلم  
« حسن » الشهير بـ « سحس » ذو  
الوجه الصبوح ، والابتسامة المشرقة ،  
والذي يتسم بخفة الحركة وسرعة  
الخالط ، يواصل ليله بنهاره في نقل  
الوفود محاسيب الحسين من حسي  
السيدة زينب على عربته الكبيرة  
المزركشة بالوان زاهية ، والتي يجرها  
حصانه « عنتر » البني اللون ..

وكان الركاب يلجأون اليه في  
توصيلهم لتساهله ، وعدم تغاليه  
فيما كان يطلبه من اجر لقاء ما يقدمه  
من خدمات ..

ولقد اثار هذا الرواج الذي خص

- من تلك الهائم في البرية ؟  
 ينام تحت الشجر الملتف والقناطر الخيرية ؟  
 \* مولاي ، هذا النيل ! نيلنا القديم !!  
 — أين ترى يعمل .. او يقيم ؟  
 \* مولاي ، كنا صبية نندس في ثيابه الصفيه  
 فكيف لا نذكره ؟!  
 وهو الذي يذكر في المنياح والقصائد الشعرية ؟  
 — هل كان قائدا ؟  
 \* مولاي ، ليس قائدا ..  
 لكننا السياح في مطالع الاعوام ياتون كي يروه ..  
 — .. آه .. ويصورونه لكي يشهروا بنا  
 بوجهه الباكى ، وكوفيته القطنيه .  
 تعال .. كي نودعه في ملجأ الايمان  
 \* مولاي ! هكذا تحبه الصبايا .. والرعاة ..  
 والاغنام  
 « وام كثوم » تغني له في وصلتها الشهريه ..  
 — التيل .. !!  
 أين يا ترى سمعت عنه قبل اليوم ؟  
 اليس ذلك الذي كان يضاجع العذارى ..  
 ويحب الدم ؟  
 \* مولاي .. قد تساقطت اسنانه في القم  
 ولم يعد يقوى على الحب او الفروسيه  
 — لا بد ان يريني اوراقه الشخصيه  
 فهو .. صموت .  
 يصانق الرعاع ..  
 يهبط القرى ..  
 ويدخل البيوت  
 ويحمل العشاق في الزوارق الليليه  
 \* مولاي ! هذا النيل !!  
 — لا شأن لي بنبلك المشرد المجهول .  
 لا بد ان يبرز لي اوراقه الرسميه  
 شهادة الميلاد ..  
 والتطعيم ..  
 والتاجيل ..  
 والموطن الاصلي .. والجنسيه  
 ....  
 حتى يمارس الحريه !

ثم عدل العربيه تجاه الحصان ..  
 وتعاون معه بعض الناس على رفع  
 « عنتر » فوقها ، واراح يديه  
 المرتشتين راسه المملوء بالسدماء ،  
 والذي مال على احدى جانبي  
 العربيه ..

وجر العربيه حابلا فوقها رفيق  
 عمره ، واثار الدم على الطريق تشهد  
 على فاجعة المعلم « سحس » وسار  
 في تودة بخطوات قصيره ، ناكس  
 الراس ، ودموعه تسابق قدميه ..

\*\*\*

وصل المعلم « سحس » مخضل  
 الحارة والحزن باد عليه ، كان يرى  
 بعين خياله شبابة المعلم « حنفي »  
 والمعلمين كلهم بعد ان نفذت عيونهم  
 الحامدة فاصابت « عنتر » ..

وعندما مر بالموقف ، نهضوا كلهم  
 من جلساتهم ، وجروا نحوه سائلين  
 عما حدث ..

وبينما هو يقص عليهم الخبر ،  
 شعر ان المعلم « حنفي » وزملاءه  
 على عكس ما كان يتوقع منهم ،  
 يشاركونه حزنه الممبق ، ويواسونه  
 على فقده ، وقد الم بهم من الحزن  
 مقدار ما الم به ..

\*\*\*

وبعد صلاة الفجر .. عاد المعلم  
 « سحس » من مسجد مولانا الحصين  
 الى منزله ، ووجد مظهرنا املطه له  
 زوجته ، فتحسسه ووجد به نقودا  
 جميعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما  
 فقدوه ، علها تسهم في شراء « عنتر »  
 جنيدي ..

ورفع راسه الى السماء ،  
 وتساقلت دموعات حزينة من عينيه ،  
 واسلم راسه لوسادته ، ثم راح في  
 اغفاده ..

رستم كيلاتي

— القاهرة —



أمل  
 دنفتل

للقاء سريع  
مع الشاعر

# عبد الوهاب البياتي



أجراه  
عبد الباطن

- الأدب لم يعد حللاً بيانياً وزركشات لفظية .
  - الشعر الحقيقي هو الذي يكتشف القانون العالمي الموضوعي لحركة المجتمع .
  - عدم تدريس الشعر الحديث في بعض الجامعات العربية هو نقص كبير
- ووجهل بجهول الشعر وطبيعته .

<http://www.Sakhril.com>

وان نسمي قصائدهم ودواوينهم ، اما اذا تركت القضية مبهمه مع اخذ النظر باعتبار الشعر حركة جماعية ( وهذا خطأ كما ذكرنا ) فسيؤدي بنا الامر الى التعميم والفوضى ، ان تطور الحياة العربية ومجابهة الشاعر العربي لواقع جديد سيؤدي لا محالة الى ولادات شعرية جديدة وهذا قانون طبيعي ومنطقي اما النظرة الصحفية العابرة الى الخريطة الشعرية فسيؤدي بنا حتما الى التشاؤم .

ان الشعر الحقيقي هو الذي يكتشف القانون العلمي الموضوعي لحركة المجتمع ولهذا غائنا لا نستطيع ان نفعل العكس في ان نستخلص القانون الموضوعي لحركة الشعر من خلال حركة المجتمع .

● والشباب ونتائجهم ، الا يستطيعون تحمّل المسؤولية الشعرية وما مدى معاصرتهم للواقع

الشاعر عبد الوهاب البياتي .. اشتهر من ان يعرف .. التقيت به لقاء سريعاً .. اجاب فيه على بعض الاسئلة مشكوراً .

● انت ولا شك احد رواد الشعر الحديث في الوطن العربي واحد اعمدة الشعر العربي المعاصر .. فما هي تصوراتك لواقع الحركة الشعرية في البلاد العربية ؟

★ ان الشعر كما ذكرنا مرارا نعمة نادرة في حياة الشعراء ولا ادري لماذا يتصور البعض ان هذه النعمة النادرة يمكن ان تتحول الى ملكية مشاعة للجميع ولهذا فائني لا استطيع الحديث عن الحركة الشعرية او واقع شعري في هذا البلد او ذاك من خلال حركة جماعية كبيرة ، قصارى ما يمكن قوله هنا اننا يجب ان نتحدث عن واقع الحركة الشعرية من خلال ما ينتجه المبدعون وحدهم ، ويمكن في مثل هذه الحالة ان نسميهم باسمائهم

## المعاشي .. من خلال ابداعاتهم الشعرية ؟

✱ أومن بالشباب ولكني لا أومن بهم ايهانا مطلقا  
اعنى بل أومن بالموهوبين منهم ، وقد لا استطيع احيانا  
ان اشير اليهم وإلى اسائهم بنقطة كبيرة ذلك لان البدع  
الشاب عندما يبدأ بالكتابة يحاول اختراق جدران اللغة  
أولا وإلى محاولة فك الوجود الغائب لها ، أي امتلاك  
الوجود الغائب بالحضور ، ومتى ما تم ذلك فإن الاديوب  
الشاب يصبح طاقة مبدعة ويصبح كل ما يكتبه اضافة  
إلى محصلة قيمة ثابتة تبدأ بالتكون ، أما الحديث عن  
ادب الشباب بشكل ضبابي وبشكل جماعي فهذا مما  
يوتعننا بالخطأ دائما وأبدا لان الادب كما هو معروف  
عمل ابداعي يقوم به الفرد محاولا ايجاد الوحدة بين  
المنظور الفردي والمنظور الجماعي ومحاولة التأمل في  
اغوار الفكر والوجود الانساني ، كما ان الادب لم يعد  
حلا بيانية وزرركات لفظية بل اصبح مطابعا للوجود  
نفسه ، ولهذا فإن الاديوب الشاب يجد نفسه الان في  
وضع جديد وأرض جديدة ، أي عليه ان يبدأ من حيث  
بدأ الآخرون ومن حيث النقطة التي وصلوا اليها ..

● كتبت عنك وعن تجربتك الشعرية الدراسات  
الكثيرة داخل الوطن العربي وخارجه .. فأينما تعتقد  
كانت الأفضل ؟

✱ لا استطيع ان افضل دراسة عن دراسة أخرى  
ذلك لان كل واحدة منها ( حتى القصيرة منها ) قد تناولت  
جزءا من شعري او ناحية لم يتناولها ناقد آخر .. لهذا  
فهي تشكل كاملها رؤية قد تكون متناقضة مثل تناقض  
الوجود نفسه ولكنها تؤدي في النهاية إلى رؤية موحدة ،  
لكن هذا لا يمنعني ان اذكر بعض هذه الدراسات  
الكثيرة تقف بالمقدمة . منها الدراسات اللتان كتبتهما  
« الدكتور احسان عباس » الأولى نشرت في كتاب  
« عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث »  
والثانية تلك التي نشرها في العدد الخاص من مجلة  
الاداب عن الشعر العربي في عام ١٩٦٦ بعنوان  
« الصورة الأخرى في شعر البياتي » ومن هذه  
الدراسات ايضا ، الكتاب الذي اصدره الناقد المصري  
الشباب شوقي خميس بعنوان « المنفى والملوك في  
شعر البياتي » وكتاب « الرحيل إلى مدن الحلم »  
( لصبري حانف ) ، والدراسة المطولة التي كتبها الناقد  
العربي السوري خلدون الشمعة ونشرها في كتابه  
« الشمس والغناء » وهي دراسة تتناول قصيدة  
« تحولات محيي الدين بن عربي في ترجان الاشواق »  
وكذلك الدراسة التي كتبها الناقد غالي شكري عن  
قصيدة « قصائد حب على بوابات العالم السبع » .  
والدراسات المطولة التي كتبها أيضا محيي الدين  
صبحي ونشرها في كتابه دراسات في الشعر العربي

الحديث . وكذلك الدراسات التي كتبها الناقد المصري  
خليل سليمان عن ديوان « الذي يأتي ولا يأتي » ونشرها  
تبعاً في مجلة الاداب . وكتاب الناقد العراقي الشاب  
طراد الكبيسي الذي صدر مؤخراً في دمشق بعنوان  
« الجني في الينابيع » او « مقالة في الاسطورة في شعر  
عبد الوهاب البياتي » وكذلك الدراسات الأخرى التي  
كتبها محمود أمين العالم وشكري عياد والدكتور عز  
الدين اسماعيل وغيرهم من النقاد العرب بجانب  
الدراسات المهمة التي كتبت في لغات أجنبية كثيرة والتي  
لا مجال الآن لذكرها .

## ● من خلف البياتي شعرا ؟

✱ انا لا أومن بالخلافة بل اعتقد ان هناك شعراء  
يعيشون الآن وهم شعراء بارزون وانني اقرا شعرهم  
بمحبة واعتز به .. أي ان وجود شاعر بارز لا يعني  
الغاء الآخرين ولهذا فلا داعي للتفكيرين سيئولي الخلافة  
لان لكل شاعر مذاقا وطعما وأهمية ، مهما قل هذا  
المذاق او صغرت هذه الاهمية ، فاذا عدنا مثلا إلى  
تاريخ الشعر العربي لوجدنا ان هناك شعراء عاشوا  
في عصر أبي نؤاس والمنتبي والمعري مثلا لكنهم كانوا  
مميزين ايضا وكان وجودهم ضروريا لوجود أبي نؤاس  
او المنتبي او المعري .. فالشعراء اشبه بالشجار  
الغابة ، منها الاشجار الطويلة والاشجار القصيرة ،  
ومنها الاشجار المثمرة وغير المثمرة ولكن وجود هذه  
الاشجار جميعها في الغابة وجود مهم للغابة نفسها  
وللاشجار نفسها ايضا .

● طرخت مجلة « البيان » في احد اعدادها السابقة  
حوارا مع الدكتور علي جواد الطاهر حول امكانية  
تدريس الشعر الحر في الجامعة واجاب عليه مشكورا  
في حينه .. وبوبنا بهذه المناسبة ان نستطلع راياك حول  
هذا الموضوع ؟

✱ بعد عشرين عاما لا تزال نسى الاشياء بغير  
اسمائها فنقول ان هناك شعرا كلاسيكيا او عموديا  
وشعرا حرا وفي رأيي ان الشعر هو الشعر وانني اعتقد  
ان عدم تدريس الشعر الحديث في بعض الجامعات  
العربية هو نقص كبير وجهل لجوهر الشعر وطبيعته ،  
هذا مع العلم ان الشعر العربي الحديث يدرس في جميع  
جامعات العالم وفي بعض جامعات العواصم العربية  
خاصة في الرباط وتونس والجزائر ودمشق وبسرو  
وبغداد .

واذا ارادت بعض جامعات العواصم الأخرى  
ان تغض النظر عن تدريس الشعر الحديث فهذا امر  
يخصها وحدها .. ذلك يرجع كما اعتقد إلى مسألة  
الزمن لان الزمن يكون دائما في صالح الجديد .





# الشعبي الفولكلور ARCHIVE <http://Archivebeta.Sakhr.it.com> ولقاء مع الأستاذ أحمد رشدي صالح

اعداد : عبد البطاط

الاقليمية التي انشأها اليونسكو في القاهرة بعد حرب أكتوبر لوسائل الاتصال الجامعي والتنمية .. وفي نفس الوقت هي الاولى من نوعها في الوطن العربي لانهم تربط بين التراث القومي الشعبي وبين الاستفادة من اغراض التنمية .

بدأ حياته .. مذيعة ثم اشتغل صحفيا ومن ثم مارس الكثير من الاعمال المختلفة ( التدريس ، القا المحاضرات في المعاهد العالية ، الترجمة » .. انتج اخيرا الى الصحافة من جديد وتولى الاشراف على الكثير من الفرق المسرحية والاستعراضية وفرق الفنون الشعبية ومصدر له لحد الان ١٤ كتابا منها ٦ كتب في الفنون الشعبية ..

المحرر الادبي لصحف اخبار اليوم وعضو مجلس ادارة مؤسسة اخبار اليوم وممثل اليونسكو في القاهرة والممثل لاتحاد اذاعات الدول العربية في اليونسكو ، الاستاذ احمد رشدي صالح ، التقيت به عند زيارته الى العراق لاعداد دراسة عامة لهماذج الفولكلور الرئيسية الذائعة في البلاد العربية بهدف الاستفادة منها في اغراض مشروعات التنمية وكتابة سلسلة من المقالات لصحف اخبار اليوم عن الحركة الثقافية والادبية في البلدان التي زارها .. اذ زار كلا من سوريا وبغداد والكويت والاردن .. ثم يتبعها بزيارة اربع دول اخرى في شمال افريقيا هي المغرب والجزائر وتونس والسودان .. والدراسة هذه من مشروعات الوحدة

وفي حوار معه حول الفولكلور والتراث اجاب مشكورا على الاسئلة ، وهذا ما سجلته لك عزيزي القاري .

● الفولكلور .. هذا العلم الرائع .. كثرت تفاسيره .. وبسي بعدة معان .. فماذا يعني لديك ، خاصة وانت من انحف المكتبة العربية بالكتب التي تبحث فيه وتقومه .. ؟

★ ان الفكرة السائدة عن هذا العلم باته حكمة الشعب التي تبدو في شكل امثال او اقوال واغان وتبدو في مهارات فنية مثل التعبير بالحركة الابداعية ، اي الرقص او النغم والموسيقى وتبدو ايضا في تشكيل المادة وفي اعمال فنية مثل الرسم ، النحت ، النقش . وقد تبدو في شكل مهارات وصناعات وحرف يدوية وقد تبدو في العادات والتقاليد والاختصاصات ..

ان كلمة « فولكلور » تطلق في العادة على الماثور الشعبي والتعبيرات الروحية او المسادية التي تغلغ حياة الانسان ويتوارثها جيلا عن جيل لتكون في الغالب مجهولة المؤلف ومتواترة في الرواية الشفهية .. هذا هو الراي الاول .. اما حديثا فقد ظهر وخصوصا في أمريكا رأي اخر يوسع نطاق الفولكلور فيجعل كل ما يقيم في حياة الناس جزءا من الفولكلور .

● ان تعميق الصلات الوثيقة في مجال التراث الشعبي بين الدول العربية ضرورة ملحة ، كيف تحقق هذه الصلات ونعمقها .. ؟

★ هذا مؤكد وثابت علميا بالرغم من اللججيات المختلفة التي تختلف حتى من محافظة الى أخرى الا ان المعاني الاساسية التي تحكم سلوك الانسان العربي وموقفه من الحياة ورؤيته للزمن والتاريخ كل ذلك شيء واحد تقريبا ، واعتقد ان التاريخ العربي الاسلامي قد انشأ كل الظروف المواتية لخلق بيئة ثقافية واحدة فكانت اللغة العربية « لغة القرآن » هي الميثاق الاول الاسمي للثقافة العربية وكانت اللغات فرعا ورواند من اللغة العربية وهي وثائق للحياة الجارية في كل يوم ، واستطاع الفنان العربي اثناء نهوض الدولة العربية الكبرى الممتدة من الاندلس الى اعياق اسيا .. استطاع هذا الفنان ان ينشي بدافع من هذا القسن الشعبي مثل الموشح الذي بدأ من الاندلس وارتفع شرقا ولم نزل نعيش على امانه حتى الان ، وقد سمعت في بغداد وسوريا موشحات ومقالات باللغة الفصحى يغنيها رجل الشارع البسيط .. ومن ناحية اخرى ابداع الفنان العراقي في ظل العباسيين مثل الموالي والدوبيت فانتشر غربا في بقية انحاء العالم العربي واصبح فنا محبوبا جميلا معبرا عن النفس البشرية في كل منطقة ، كذلك ترجم العرب في بغداد

الف ليلة وليلة ، وعندما سقطت بغداد هاجر منها جملة من الادياء ورواد القصص واستقر بعضهم في القاهرة ، وهناك اخذت الف ليلة وليلة شكلها النهائي . واذا نظرت في الامثال العربية فستجد مئات متشابهة .. ومئات أخرى واحدة وسبب ذلك ان جانباً من الامثال قد وضع بتأثير الكتب السماوية سواء في الكتاب العظيم ( القرآن ) او التاجيل او التوراة ، تعبر هذه عن التجربة المشتركة التي هي جزء منها .. والجزء الاخر هاجر الى بلد اخر .. فالحضارة العربية الاسلامية مكنت هذه الفنون المرتجلة شرقا وغربا في سهولة ويسر ان تشكل وجدان الانسان العربي .

● كيف نسجل التراث الشعبي .. وما هي براك الخطرات الواجب اتباعها ، كي يعطي عملنا الفائدة المرجوة منه .. ؟

★ في كل قطر عربي تقع مسؤولية هذا التراث على اكتاف نخبة من ابناء المهتمين بهذا التراث سواء كانوا اساتذة جامعيين او باحثين خارج الجامعات فليهم ان يعرفوا علم الفولكلور .. فهو علم له نظرياته ومناهجه وطرائق عمله فقد دخل الدراسات الجامعية في اوروبا وامريكا منذ مائة سنة على الاقل واصبح له معاهد ومؤتمرات ، وبالطبع لا بد من استخدام احدث الاجهزة لتسجيل الماثورات صوتيا وسينماتيا وكذلك تدوين الملاحظات والوصف وكل ما يتعلق في المادة الفولكلورية فقد وجدت خارج مصر في سوريا والعراق واعرف كذلك ان في الكويت جهودا مبذولة في هذا الميدان ، بعضها جهود ذات وازع كبير ، واملي عظيم في ان الحكومات العربية تسهم في رعاية التراث الشعبي لانه تراثنا القومي الاصيل الذي يمكن ان نجد فيه ثروة عظيمة نستفيد منها في فنوننا الحديثة وفي معرفة انفسنا وفي تدعيم عنصر الامالة في حياتنا ...

● انت ولا شك رائد من رواد الفولكلور الشعبي العربي .. وتحس اكثر من غيرك بالصعوبات التي تواجه الباحث الفولكلوري .. فما هي براك اهم تلك الصعوبات .. ؟

★ الواقع ان العناية بالفولكلور دخلت حياتنا في الفترة الأخيرة .. فممر الدراسات الشعبية تحسبه بالسنوات في حين ان هذه الدراسة في اوروبا محسوبة بالاجيال ، اذن اول مشكلة تواجهنا جميعا هي كيف نلاحق الزمن .. اي كيف نتخطى التخلف الزمني في هذا الميدان .. وفي ظني ان هذا ممكن لاننا نستطيع ان نبدأ من حيث انتهى العالم .. اي نرسل شبائنا الى جامعات الدول الكبرى للتخصص في هذا العلم ونستخدم احدث مناهج البحث والدراسة .. ومشكلة أخرى هي





ما تبقى من

# أيام الخمر

شعر محمد علي سند

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

في اليوم الثالث

جمعنا جلستنا اليومية

فصينا في الاكواب هوم الفد

ورشفنا - في مهل متخابث -

( كانت اعينا تهرب للموج العابت )

فاراني منحشرا في مركبة العودة ،

كابوسا يتجدد

شينا ملقى بين الاجساد الصفراء المختلفة

وصراخ ابي ،

ويكساء الام اللاهث

القوم ،

الصنبور القاف .. !!

(١) نشر اليرمان : الاول والثاني بمجلة البيان الفراء في العدد ١٢١  
( ابريل سنة ١٩٧٦ م )

مشكلة توفير الايكات القومية القادرة على تغطية كل انحاء الوطن العربي في اقل وقت ممكن قبل ان تختفي ظاهرات فولكلورية كثيرة من حياتنا ، وانا اعرف ان بعض الحكومات قد اعطت الكثير لهذا الميدان لكن المطلوب بالنسبة لكل البلدان العربية هي ان تعطى اكثر اذا ارادت ان تهزم الزمن ...  
● الباحث الفولكلوري التاج ، ما هي صفاته التي عليه ان يتمتع بها ... ؟

★ الموازين للحكم على الدراسات الفولكلورية منها ان تكون المادة التي يتناولها البحث مادة جارية في الاستعمال وليست ميتة وان يكون لها وظيفة وان تكون اصيلة وليست زائفة وان يعلق عليها الباحث منهجا محددا سواء كان منهجا ادبيا او تاريخيا او اجتماعيا او نفسيا او جغرافيا ، اعني ان تكون الخاتمة موثوقة بها وان يكون المنهج واضحا ومحددا وان لا يكون في ذلك كله سبيل الى التخمين الشخصي والباحث الفولكلوري يشبه عالم النبات اذا ذهب الى منطقة واختار نماذج فيها يجب عليه ان يختار النماذج الاصلية الموجودة اصلا في البيئة وليست المستوردة او الهجينة واذا حملها الى معمل الدراسات يجب ان يضع ميوله الشخصية جانبا ويطبق عليها مناهج البحث التي اخذ بها ولا مكان للتلقائية في مثل هذا الميدان ، وايضا لا مكان للتجمد .. بحيث يعتبر الباحث نفسه استنادا يعرف كل شيء .. فالباحث الفولكلوري ينظر تليذا يطلب المعرفة طول حياته لان ما يبدعه الشعب ابداع من ابداعاته بكثير .

عبد البطاط

— لا املك الا امنيتي ،  
والصبر ، ونظم الاتسار .. !!  
— وامانيك الخضر ،  
ان تعطيني بيتا ارعى فيه الحب المتوقد  
صبرك ،  
ان يقنضني في نار اللذة ،  
تصهرني حتى اتبدد .. !!  
شعرك ،  
ان يطعنني عنقود توصلنا المسكر ،  
ان يؤويني في صدر الامن الدافئ ،  
ان يسقيني كأس الاحلام الحبلى ،  
بالاطفال وبالعيش الرغد .. !!  
( هميمت ،

وارخيت حروفي ،  
وسحبت خيوط اللحظة ،  
من عمق النهر المتكاسل ،  
فأنتسدت البرد ،  
وتشبعت بمقعنا الحجري هنيهات ،  
ثم اخذت القدمين العاريتين ،  
واسلمت عنابي للعمل المتجسد .. )

● ● ●  
في اليوم الخامس  
لمت قصاصات الشعر البائس  
وجلست على مقعنا الحجري ،  
انثر — وحدي —  
عن عشقي للحب ، الشعر ، الحرية  
في هذا الليل الدامس  
حتى تبني الشرطي لنفسه فضحكت ،  
واوشكت انانيها ،  
لكي احسست الرعشة في جسدي ،  
فألقيت اشلائي ،  
واتشحت بالصبر العباس .. !!

● ● ●  
في اليوم السادس  
لم تحلتي اقدامي للباب  
فجلست على الاعتاب  
اتذكر شعري الهامس  
ابكي لقراق الاحباب .. !!

محمد فهمي سند  
— القاهرة —

الماء المتقطر ،  
جوري الرفسو ،  
قميصي المتسخ المقطوع الازرار ،  
طعام الإفطار ،  
الركبة المتتمرة ،  
الأقدام اللهني ،  
الاصوات ،  
الموج الجارف .. !!  
حيي المشبوح على الضوء الاحمر والاخضر  
في شارع هذا العمر القارف  
سألتني :  
كم ساعتك الآن ؟!  
( كان النهر حبيسا بين الشيطان )  
فوقنا — منكسرين — واسلنا اقداما ،  
واجفة للدرج المريان .. !!

● ● ●  
في اليوم الرابع  
حدثنا في النهر المتمد ،  
— في استرخاء —  
والعشب الطافي فوق السطح المتجمد  
صرخت فجأة .. !!  
— صبتك يرعيني .. !!  
— اني اتجدد ..  
— وانا اتداخل — من خلجي — في هذا المقعد ؟؟  
— يا حبي ،  
غدنا يبعنا ،  
يعطينا البيت الهائي ،  
والاغنية الطفلية ،  
والحب المتفرد  
— ما زلت تمنيني بالفيث  
وترويني بالحلم المتدلي من رحم الغد  
رغم هطول الجذب على اغناق الاشجار  
وتكلس امواج النهر المتمد ،  
فوق موائد قلبي الموار  
ما زلت تمنيني بالثر الناضج ،  
والماء العذب ،  
وبيت الاسرار  
انت تمنيني ،  
والاشياء جميعا في ايدي التجار .. !!



# أبواب في الصحراء

## قصة قصيرة بقلم طه حواس

حارس الباب . رجل نحيل الجسم أصفر اللون ، له رأس صغير وعينان ضيقتان ، يجلس فوق مرتبة بجوار الباب . يصعد إليه الحرام بطلبات الجاهل ، مصاطب صخرة بناها أهل القرية . نظرات النساء مشدودة إلى حركاته . اشاراه أصابعه ، نظرات عينيه ، هزاه راسه ، امتعاضات أو ابتسامة شفتيه ، حركة يده بالقلم حفظه الناس ، وبدون أن يسمعوها الرأ بالرفض أو بالتبول كانوا يمرغوا

وأطفالهم الصغار داخل الخيام . يقفون في طابور طويل أمام الباب . الجميع مصالحهم خلف هذا الباب . رجل يريد الدخول لبيع محصوله ، امرأة تسأل عن ابنها الضائع ، شابة جميلة تريد السؤال عن معاش أبيها . رجل ضخم الجثة ، ووجه منتفخ ، وشارب كث طويل معقوف دخل ليشتري بعض الحيوانات . همهم بعض الناس في نهاية الطابور احتجاجا على دخول الرجل الضخم قبل دوره . لم تصل مهماتهم إلى

باب ضخم ، لمصراعيه عند الفتح والإغلاق صرير مرتفع يسمعه كل إنسان في القرية حتى الأطفال الصغار والحيوانات تمط رقابها وتهز رؤوسها عند سماعه . والجميع يدركون الفرق بين نغمة اغلاقه ونغمة انفتاحه . وبمجرد أن ينتهي الصرير تندفع الحركة في قنوات تموج بالرجال والنساء والحيوانات عبر القرية إلى الصحراء ثم الباب الضخم . يحط الناس الرجال ويدقون أوتاد الخيام . ويقف المنادي أمام الباب . يترك الناس أشياءهم

ذلك من حركة يده بالقلم .

صرخات جوع الاطفال في الخيام  
تصل الى اذانهم . الشمس غسق  
رؤوسهم تلتصق حرارتها اجسامهم .  
ويبر بعض الناس من الباب ، وياخذ  
الباقون اوراقهم ، يتسائلون همسا :  
— لماذا رفضت اوراقنا ؟ .

يندفع اليهم بعض التماس  
يرشدونهم الى رجال يستطيعون  
ان يكلوا لهم الاوراق الناقصة . او  
يصحبوا لهم المعلومات المطلوبة ،  
وهذا امر ميسور بشرط النزول عن  
بعض ما يملكون . والناس لا يخلون  
بشيء مقابل مرورهم من الباب .  
صرخات الاطفال لا تهدأ وتأثيرات  
الرجل الجالس فوق الكرسي نخست  
المظلة بطيئة . حرارة الشمس تكوي  
الوجه . فجأة يصر الباب ، يتقابل  
بصراعه ، ويقف كل شيء ، يخفي  
الرجل من فوق الكرسي ويتبسه  
الحراس ، وينذوب جامعو الطلبات  
ومصححو المعلومات ، لا يعلم الناس  
اين اختبأوا ... كما لا يعلمون من  
اين ياتون عندما يعود الطابور .  
وتخلع الاوتاد . وتحمل الخيام  
فوق الحميز والجمال ، ويعود طابور  
الحركة الى القرية بطيئا حزينا ،  
تضربه الشمس بسيطا الحرارة ،  
فيصدر عنه اثنين صابت ترددده جنبات  
الوادي ويمتصه الفراغ اللانهائي من  
حولهم .

وفي القرية عندما يصدقون ابواب  
منازله . ترتفع الاستغاثات هنا  
وهناك ، لقد سطا اللصوص على  
بعض المنازل ، نسي اصحابها ان  
ينلقوها عند سماعهم صرير الباب .  
وينتشر الخفاء في القرية وفوق التلال  
وفي بطون الوديان ، ويسهر الناس  
ولا يعود الخفاء بشيء .  
وتشرق على القرية شمس يوم  
جديد ، وينسى الناس همومهم في  
العمل . يودعها بعضهم باطن الارض  
عبر ضربات الفأس ، وآخرون  
بالشجار حول امانات اصابت البعوض

من مدة طويلة ، وخفراء يجرون خلف  
اطفال يرمون الناس بالحجارة .  
ويظول الاخذ والرد بين قوم اطهار  
آخرون اشرار ، ويسبح امام المسجد  
يحث الناس على الرجوع الى الله .  
ويرتفع صرير الباب ، وتتدفق  
الحركة عبر القرية الى الصحراء ثم  
الباب الضخم . تدق الاوتاد ، وتقام  
الخيام لتوضع فيها الاطفال مع  
الحاجات التي يخشون عليها السرقة  
من اللصوص . ويصبح احد حراس  
الاباب بالناس ، فيقفون في الطابور ،  
ويدير حولهم بعض الناس يجمعون  
الطبابت . لياخذها آخرون الى احد  
حراس الباب الذي يصعد بدوره هو  
الاخر الى الرجل الجالس فوق  
الكرسي المرتفع ليبدأ في فحص  
الطبابت .

وينتشر مصححو المعلومات بين  
الطابور يعرضون خدماتهم ويتسكع  
آخرون بين الخيام .  
وفجأة يسمع الناس صوتا واضحا  
ابتلع كل الاصوات الاخرى ، كان  
يصيح لنبه الناس الى ان هناك  
ابواب اخرى غير هذا الباب .  
وتتساقط الرؤوس في نهاية  
الطابور ، وينتقل التساؤل في لحظات  
الى مقدمة الطابور ، وقال الواقفون  
هناك :

— كلام غير معقول ...  
ويسال الرجل الواقف في نهاية  
الطابور زميله الواقف امامه عن  
صاحب الصوت اذا كان يعرفه .  
ويرتفع الصوت للمرة الثانية :  
— يا اهل البلد ... لو نظر احدكم  
الى يمينه او يساره لوجد ابوابا  
كثيرة .

— وصيحه الزميل :  
— يا منصور وهذان .  
ويقول الرجل الواقف في نهاية  
الطابور :  
— اني اتذكر هذا الصوت ، لقد  
سمعته مرة في اوقات عصيبة مثل  
هذه ، وكان صادقا ...

ويسرع رجل من الذين يصحبون  
المعلومات الى نهاية الطابور ،  
فيسمت الرجلان ، ويسال رجل في  
وسط الطابور احد الذين يصحبون  
المعلومات عما اذا كانت هناك ابواب  
اخرى كما يقول منصور وهذان ...  
ويجيب الرجل في هدوء وثقة :

— انه جنون مخرف ... لا  
تسمعوا كلامه ... انه يريد ان  
يضيع وقتكم ويقتل عليكم الفرصة .  
ويرتفع صوت منصور وهذان .  
— الابواب مفتوحة يا ناس ...  
انظروا اليها ... لن يستطيع احد  
ان ينزعك عنها اذا تحركتم اليها .  
انظروا وتحركوا ..

وينظر الرجل الواقف في نهاية  
الطابور ، تدق النظرة فغر فاه ،  
صاح :

— يا نور النبي .. ايه كل  
البوابات دي ؟ .  
وجفف الناس وجوههم من العرق ،  
نظروا ، بدت لهم البوابات كثيرة على  
الجانبين . ليس عليها حراس . ولا  
رجل جالس فوق كرسي مرتفع ، فدفتر  
وقلم .

وصاح منصور وهذان :  
— سجلوا اسماءكم ومروا ...  
انه امر سهل .

وصاح رجل في وسط الطابور .  
والذين لا يقرأون ولا يكتبون ؟ .  
وارتفع صوت منصور وهذان ...  
— يستطيعون ان ييصوصا ... او  
يكتب عنهم اقاربهم ، لا حواجز يا  
اهل البلد ، لا حواجز .

وانتشر مصححو المعلومات بين  
الناس يرددون :

— لقد خدمناكم كثيرا ...  
— ونحن مستعدون لخدمتكم الى  
النهاية .

— لا تسمعوا كلام المخرفين .  
— نحن لا ننكر ان هناك ابوابا  
اخرى كثيرة .

ولكن هذه الابواب جديدة وليس  
لديها الخبرة لتحافظ على مصالحكم

# ثلاث قصص قصيرة

بقلم

محمد حسن سمارة



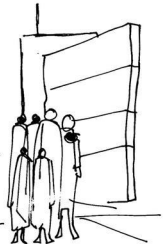
وارتفع صوت الرجل الواقف في  
مقدمة الطابور .  
— يا أخشى الذي عرفناه ...  
وقال الذي خلفه :  
— على رأيك .

وعادت نظرات الناس في الطابور  
ترتبط بحركات الرجل الجالس فوق  
الكريسي . اشارات يديه ، هزات  
رأسه ، حركات يده بالقلم ، يخشون  
أن تقف ذبابة على وجهه فيغضب ،  
ويكف قلبه عن العمل . الشمس فوق  
الرؤوس تكاد حرارتها تأخذ بأبصار  
الناس . وصرخات الاطفال في الخيام  
تدق الاذان ، وصرير الابواب يلقي  
على الطابور خيوطا ثقيلة من الهم  
والالام . ويقت كل شيء ، نظرات  
الناس مشدودة الى البوابات ،  
مصاريعها تتقارب . تتسلاسل ،  
تتلقى ، ويختفي الرجل الجالس فوق  
الكريسي ، لا اثر لصحفي المعلومات .  
خلق الناس اوتادهم ، رفعوا الخيام  
على ظهور الحجر والجمال .  
وعاد الطابور الى التربة . يدفعه  
صرير البوابات المرعب . تفوح  
اقدام الناس في الزحام . الرمش  
ملتهبة . يجذب طفل صغير ذيل ثوب  
الرجل الذي كان يقف في نهاية الطابور  
ويساله :

— لماذا لم تدخل من البوابات  
الجديدة يا ابي ؟  
ويفكر الرجل في صمت فيصيح  
الطفل :  
— الرمال هنا ساخنة يا ابي .  
ويحمل الرجل الطفل فوق كتفه  
وهو يقول :  
— ليس هنا طريق غير هذا نسير  
فيه .  
ويقول الطفل :

— كانت هناك بوابات كثيرة ،  
فلماذا لم يدخل الناس منها ... ؟  
ويجيب الرجل في مرارة ...  
— سيحاولون في المرة القادمة .  
طه حواس

كما نحافظ عليها نحن .  
— صحيح ان طلباتكم احيانا  
تتعطل بالاسبوع .  
— والشهر .  
— والسنة .  
— ولكن في النهاية تصل معكم  
الى حل .  
— ولكن هل تعلمون لماذا فتحت  
هذه الابواب ؟  
— ويصيح الرجال الواقف في نهاية  
الطابور .  
— لماذا فتحت ؟  
— ويردون عليه  
— انها خدعة .  
— هل تعلمون ماذا سيحدث لو  
انكم تركتم اماكنكم في هذا الطابور  
وذهبتم الى هناك ؟  
— سيأخذون اوراقكم ولا يعطونكم  
شيئا .  
— انها ابواب حبالها طويلة .  
— الداخل منها مفقود .  
— والذي عرفتموه احسن .  
— وفي النهاية انتم احرار .  
— ولكن من يذهب الى هناك لن  
يعود الى مكانه هنا ابدا .  
— وكثرت المهيمات والهمسات في  
الطابور وكثرت فيه الحركة حتى كاد  
ان يخرج عن نظامه .



## ١ - الحفرة

مد نصفه العاري من الحفرة الطينية . راقب الفتيات الثلاث وهن يتضاحكن في ظل البناية المقابلة ، وقد بدت الفتاة ذات البنطلون الضيق وهي تدفع بجذعها الى الوراء كدمية راقصة . سحب نفسها اخر من سيجارة لذعته حرارة رمادها المنساقط على صدره ، وكان يهجس الما سرىا حادا . مسح جبات العرق عمن رقبته ، وعاد لينظر حيث اختفت الفتيات الثلاث في المنعطف « لا بأس سأخاها صغيرة ، وترتدي البنطلون » .

لمسافة قصيرة ، وقفت عمارة دائرية ذات طوابق اربعة . كان في وسع حداد ان يتسلق بنظرانه نوافذها العريضة ذات الزجاج الملون، ويراهما وهي تترك ظلا متوهجا على البلكون المستدير . على الحافة بدت ثلاث مزهريات انيقة ، في كل واحدة منها مجموعة ملونة صفيرة : اصفر . احمر . ازرقي « آه .. انها المرة الاولى التي ارى فيها زهورا زرقا مذ تركت القرية » .

مسح جبات العرق التي جمعت مكونة خطا دقيقا متعرجا اسفل ذفته . التي بالسيجارة ولما تنته بعد . زم شففيه ، وشرع يخلق في سيارة انيقة ، تبدأ ارقامها برقم كالعصا المستقيمة عرف فيه الرقم (١) ، وكان صاحبها يحاذر الاصطدام بسيارة ملاصقة عادت الفتيات الثلاث من المنعطف ، وما فتئن يضحكن في صخب ، وثمة شاب يغذ الخلى وراءهن محركا باصبعه سلسلة نحاسية ويصفر . ابتسم الساعي من وراء كوبة اوراق حجب صدره وهز راسه . تقطع الشارع فيها كانت صلته تنوهج تحت الشمس ودخل العمارة .

انتبه حداد الى السيارة وهي تعود ثانية وتتوقف . خلق في ارقامها المتشابكة فاكشف اختفاء العصا المستقيمة . هز راسه معجب واستدعى الى المساحة الصلبة . اشرع عينيْن مثقوبتين الى حيث وقفت الفتاة تصح من وضع المزهريات في الطابق الثالث ، وكان في وسعه ان يرى الشمس وهي تسقط على بلوزها الاحمر لتنعكس على الجدار الجانبي الابيض . ثبة — على الرصيف المقابل — وقف الشاب وذات البنطلون الضيق ، مستندين الى العمود الاسمنتي يتحدثان . القت الفتاة حقيبتها الجلدية على ظهرها وأرجحتها بطريقة دائرية وضحكت ، قال الساعي بحسرة واضحة : كان لا يعرف قتل ساعات فقط ، وهمس حداد : لاشك ان الساعي يفهم كل شيء .

\*\*\*

الراديو أعلن الثانية بعد الظهر . حداد نظف الحفرة خلفها . اصبح في مقدوره الان ان يرتدي ملابسه ويذهب .

راقب جمهرة الموظفين والمستخدمين وهم يتسكعون في ظل المبسات وبثرون . اشعل سيجارة اكتشفت انها مثقوبة من احد طرفيها ، فالتقاها بقرق واستاف رائحة شواء من المطعم المقابل . ارسل نظرة اخرة الى مجموعة الفتيات ذوات البناتيل الملونة والاحزمة العريضة ، ثم دفع قدميه نحو الرصيف المقابل .

## ٢ - عامل

حين دخل الشاب ذو القميص الصفي الابيض الى المقهى ، كان المطر قد كف نسبيا عن السقوط .

اقتعد كرسيًا في مقدمة المقهى ، وشرع يراقب نثيث المطر وهو يتحرك في الهواء ، مكونا مع اشعة الشمس طبقات متوجة شفافة . طلب شايا خفيفا ، ونادى على الصون المتجول، وحالما اختار واحدة قضم اطرافها، وكانت اصابعه السائبة تغلب صفحات جريدة يومية . بعد لحظات — وكان قد انتهى من غذائه — استل من جيبه السيجارة التي اشتراها هذا الصباح ، وقد اكتشفت انها انبعجت من احد طرفيها . اشعلها وراقب القطرات المائية وهي تنزل من مقدمة الطاولة لتكون على الارض مجرى صفيرا .

ثبة بيت عال يقف امام المقهى ، تاركا ظلا معيلا على مساحة الشارع ، وقد بدت الاغصان الملتهة حول اسياخ البلكون الدائري كخط حلزوني اخضر . لدقائق ازيحت الستائر المخملية واطلعت فتاة ذات ثوب حريري وردي . تبقت النابات لحظة ان القى اليها نظرة ثانية انها تشير له وتبتسم . نظر في الجريدة واذا رأى سطورها تتشابك امام عينيه ، مسح جبات المطر عن اهدابه وقرا في صفحة الاعلانات المبوبة « مطلوب عامل صباغة في شركة (...) في الكرادة الشرقية » رأى الفتاة وهي تشير له ثانية ، وكانت معتمدة — هذه المرة — ببرفقيها على السياج الدائري الملون « لاشك انها تلك البوفا بأحدث الثياب » والتي يذراعها الجلبة وقال : لقد تركته مريضا ، يتقيأ من رائحة الدواء ، فما عسى قد جرى له الان ؟ ولمح الفتاة وهي تغلب مجلة نصف عارية ، وقد جلست على كرسي اسفنجي تفني . ارتفع صوتها بالاغنية ، فسمع مقطعا مبتورا : اوه ماي .. اوه ماي .

في انحاء جسي ، وانتفضت لحظة  
ان رايت الكلب يمزج في وجه القطعة  
بغضب . القيت به جسر مسنن ،  
فارتعش جسده متبرعا في الحفرة  
الطينية وسرعان ما همد .  
قالت : ماذا قال لك ؟  
فكرت انها لم تغادر مكانها طيلة  
غيابي . قلت : لا شيء انه يسلم عليك  
فقط .

— وبعد ؟  
— يقول انه يحبك .  
تفرست في وجهي : ولماذا تقول  
ذلك بحزن ؟ هل اغضبك في شيء ؟  
— لا . لقد اخبرني انه يحبك .  
وبفرح طفولي هرشت شعري ،  
ووضعت في يدي تفاحة صغيرة ، ثم  
درجت في زقاق متعرج واختفت .  
رغبت بقسوة حجرا مديبا وتساقلت  
عن معنى ان اكتب . وتركت لحظتها  
التفاحة تسقط في الوحل .

محمد حسن سمارة  
— بغداد —

به يمزقها ويثرها في بقعة مائية .  
قلت مندحشا : ولكن لم ؟  
اجاب بفظاظة : اسكت . لا  
تتدخل .  
— لكننا تحبك .  
حلق في بهدوء . اخرج سيجارة ،  
وضمها في فمه دون ان يشعلها .  
قال .

— كم بلغت من العمر ؟  
— عشر سنوات .  
صمت قليلا . نظر الى قدمي  
الحافيتين : هل قالت لك شيئا ؟  
— اجل . طلبت الي ان اسمع ما  
تقول .  
— اذن اخبرها انني بدات امقتها  
— ولكن لم ؟  
— اسكت . اخبرها فقط بها .  
قلت . اذهب الان .  
وعدت من نفس الطريق وكنت  
الهيث . التفت الى السور الطيني ،  
فرايت الطيور محشورة في قمص لم  
اكن قد رايتها اذ مررت . شعرت بالهم

لبرهة طوى الجريدة ، واستل  
عشرة فلوس وضعها على الطاولة ،  
ثم القى بالسيجارة الى الارض ،  
وغادر المقهى الى الكرادة الشرقية .  
٣ — الرسالة

قالت : خذ هذه وامض اليه . لا  
تعد تبقل ان تسع الجواب .  
ومدت يدها برسالة زرقاء تناولتها  
لانتجه الى طريق تقف في نهايته بضعة  
بيوت متهدية .

فكرت وانا ارفس حجرا صغيرا  
في معنى ان اكون انا بالذات ذلك  
الوسيط ؟ وراقت مجموعة مسن  
الطيور البيضاء تتناقل على سور  
طيني واطيء ، ما ان تهدأ حتى تكون  
خطا مستقيما ابيض .  
انتهيت الى زقاق جديد ، فتلقت في ما  
حولي بحذر وقلت : اذا راى احد  
ما معي ، فما عساي اقول ؟ ورايت  
كلبا يداعب قطعة لصق الحائط ،  
فانقربت منها وانا اصفر . رمقتي  
الكلب بهدوء ثم استرخى في بركة  
طينية ، وكنت قد انتهيت الى رجل  
برز من احد البيوت .  
قال :

ماذا ظننته سيفعل ؟  
قلت : من ؟  
قال : الكلب .  
— لا ادري .  
— انه لن يقرها على اية حال .  
— وما ادراك ؟  
قال مستغربا : ماذا ؟ انني ربيتهما  
بنفسي .

واختفى داخل البيت ، بينا مضيت  
قايضا على الرسالة بحرص ، واذا  
شارفت على نهاية طريق ترابي ،  
لحتة واقفا وكان معطيا قساه .  
اقتربت منه وقلت : لقد ارسلتني  
اليك . التفت الي كانه فوجيء .  
اردفت : ولقد اعطتني هذه الرسالة .  
وراقبته وهو ينظر فيها بعينين  
بدنا كحبات الحمص من وراء زجاج  
نظارات سمكية . لبرهة طواها  
بعناية ثلاث طبات متناسقة وفوجئت



# مذكرات على أوراق البسردى

الى الدكتور عزت قرني عبدالكريم

جامعة عين شمس

ويتعلم ومن حقه ان يختار .. ومن حقه ان يغير مهنته التي كانت مجرد اختيار جره الى الخطيئة .  
كنت تدخل الى المجمع الاستهلاكي .. او الجزار .. او البقال .. فتراه منكبا على احد المجلدات ولا يعيرك انتباهها وتظل واقفا الى ان ينتهى من قراءة ما يقرأ ، حدث هذا .. وهذا ما لم يكن في الحسبان .

اجتمع السيد رئيس المجلس الشعبي وحدث حوار حول ضرورة ايجاد حل لهذه النكبة التي حلت بالبلاد .

لقد صار العامل يقف بجوار الفرن او ماكينة الغزل وفي يده الجدلية والمثالية عن ابن رشد او كتب المذاهب الاشتراكية متناولوا المذهب الفوضوي ، وقتل الانتاج واصبحت الامور تدعو للخوف .

كانت هناك في مدينتي ثلاث ثورات ، تأملت الثورة الاولى في سنة ١٩٩٩ بالقضاء على الامية تماما .. ونجحت هذه الثورة حيث اشترطت ان ليس من حق المواطن الاكل او الشرب ان لم يكن متعلما القراءة والكتابة .. والخوف من الجوع هو الشيء الوحيد الذي ادى الى نجاح الثورة . تأملت الثورة الثانية سنة ٢٠٠١ بقيادة الجماعة المثقفة الذين شنقوا في ميدان العادل جميعا وفشلت هذه الثورة وكانت دعوتها ان تباع الكتب والمجلات الثقافية بالتسيرة وفي المتاجر الشعبية كي تكون في متناول عامة الشعب حيث ان تجارة السوق السوداء قد سيطرت على قوت الشعب الفكري .

تأملت الثورة الثالثة بقيادة العم سنة ٢٠١٠ حيث نادي الشعب بحقه في البحث وبحقه في التنقيب .. والتفكير لاختيار مصيره .

كانت دعوته هذه هي الطالبة الكبرى التي حلت بالبلاد ، حيث تفرغ الشعب للقراءة والبحث عن جدوى الوجود وعن الموجود واللاوجود وعن الاختيار .

كنا نجلس في المقهى وتنادي

برزت عظام الوجوه وضميرت الاجسام وكنا نرى بريق الحزن في العيون يطغى على كل شيء .

وفي الصباح نسبح ان « محسن ابو حسين » قد شرب السم بمسد انا قرأ كل ما كتب عن سقراط وترك قصاصة ورق صغيرة كتب عليها هذه العبارة :

« بعد ان قرأت كل ما كتب عنه وتشتيت بحكيمته ، صيرت انا سقراطاً ، انهي حياتي انا سقراط بكأس السم » ازداد عدد المنحرفين في قريتي وتحول الباقون الى عيون لا تمل من التحديق في اللاشيء .

كانت الصحف التي تصلنا في القرية كل يوم تتحدث عن ضرورة الصحيان وضرورة العودة الى العمل وضرورة الانتاج . كانت الصحف تتحدث عن اشياء تحدث .. في المدينة .. وان المدينة قد توقفت فيها الحركة تماما .

كان سائق الانوبيس يجلس على كرسي القيادة ويقرأ عن فلسفة كيركجارد : « الاختيار يجر الى الخطيئة ، والى المخاطرة ، والمخاطرة تؤدي الى القلق .. قلق من الوجه الذي اختاره الانسان » .

كان السائق يقرأ بصوت عال ويرفض ان يقود السيارة قبل ان ينتهي من قراءة الفصل وان من حقه ان يقرأ

حدثت ثورات كثيرة في تاريخ البشرية .. ثورات ضد ثورات .. ثورات مع ثورات .. ولكن لا احد يصدق ان هذه الثورة قد حدثت رغم انها كتبت في كتب التنبؤ التي وقعت في العام العاشر بعد السنة الالفين .

حدثت هذه الثورة بعد ان جف الزرع وتشققت الارض الزراعية وطفحت البثور الملحية على جلدها ، وتوقفت كثير من المصانع وسادت المدينة حركة سكوك او لحظة تأمل فلسفي طويلة .. ممتدة بامتداد عام باكله .

كان الفلاحون في قريتي يسحبون بهائمهم ويتأبطون الفية ابن مالك ، وكليلة ودينة ويضطجعون تحسب الاشجار لا يعون شيئا عن بهائمهم ويفوتهم دورهم في الري وتجصف الحقول .. حتى ماتت بذرة الاخصاب في احشاء الارض الطيبة المعطاء .

تحول رجال قريتي الى عمال مناجم او حفاري قبور ، يحفرون في بطون الكتب الصفراء القديمة ويبحثون عن قوتهم اليومي في الحكمة .

في المساء كانت تدور المناقشات حول حكمة من الحكم او قول من الاقوال ويشند الصراع يوما بين الشباب والشيوخ حول معنى كلمة الفعل .



## فني المكتبات

# الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ

تأليف  
سليمان الشطي

الجرسون ان يأتي الينا بسفر  
التكوين او التاريخ المصري القديم او  
دليل المسافرين للقطر وملحقه عن  
ارخص الفنادق والمطاعم .  
كانت المقاهي مكتبات وكان الشرط  
الاساسي للزبون هو ان يقرأ اولا ما  
يريد ثم يشرب مشروبه .  
هذا ما حدث في مدينتي ويتلخص  
في :

١- أصبحت الدولة عن اخرها  
مقتنين .

٢- أصبحت الدولة من كثرة المناقشات  
بالتصدع الراسي .

٣- ازداد عدد المرضى والموتى  
والمتحررين بنسبة ١٠٠٪ .

٤- ظهور مرض جديد يسمى «توقف  
المعدة » وذلك نتيجة لعدم تناول  
الطعام او لعدم وجوده .

٥- بوار الاراضي الزراعية وتوقف  
الصناعة وتوقف وسائل الخدمات عن  
العمل .

٦ - زيادة رهيبه في نسبة توزيع  
الكتب الى مليون في المائة .

في الساعة السابعة من صباح يوم  
السبت الموافق ١ يناير سنة ٢٠١١  
شب حريق هائل في ميدان المتقنين  
وهو من اكبر الميادين في البلد ، وفي  
هذا الميدان تعقد المناقشات بين كبار  
المفكرين في الدولة وعلى رأسهم ابن  
العم .

ظل الحريق مستمرا لمدة سبعة ايام  
سمي هذا اليوم بثورة ابن العم او يوم  
الحريق الاكبر ، حيث حرقت جميع  
الكتب والمجلدات والمؤلفات والصحف  
فما عدا صحيفة ابن العم الذي دعا  
فيها الكتاب الى مزاولة العمل الفكري  
في خدمة المجتمع .

رفقي بدوي



✽ ترجمت هذه الاوراق البريدية مع تصريف  
بسيط من المترجم حيث انه مصاب بمرض عضال  
في يافوخه يجعله في حالة طم دائم في النوم  
والهذنة .

## بمقام علي ابوشادي



علي ابو شادي

- ناقد سينمائي - ٢٩ سنة
- ليسانس اداب ودبلوم المعهد العالي للتقد
- الفني .
- مدير نوادي السينما بالمركز القومي للثقافة
- السينمائية بالقاهرة .
- عمل سكرتير التحرير مجلة ( سينما ٧٥ ) التي
- تصدر عن الثقافة الجماهيرية .
- عضو هيئة تحرير مجلة ( سينما ٧٦ )
- عضو مجلس ادارة وسكرتير جماعة السينما
- الجديدة .
- عضو جمعية نقاد السينما المصريين ( التمثيل
- بعد رسالة الماجستير عن « النقد السينمائي في
- مصر من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٤٥ » .
- يقوم الان باعداد دليل الانلام المصرية الروائية
- من عام ١٩٢٢ - ١٩٧٥ ) .
- بجانب العمل النقدي السينمائي ، له اهتمامات
- بالنثر الفرعوني والاسلامي .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.net>

محاولة  
للبحث  
فني

فلسفة

الفن العربي

« خلافا لما يرغب عصرنا في الاعتقاد  
به فان العنصر الاساسي عند المسلمين  
ليس هو العرق بل هو القناعة  
الواضحة القوية التي عمت جميع  
مسلمي العصر الوسيط من أنهم  
ينتسبون الى حضارة «عربية» كانت  
قد عكست ارادة الخالق »  
ريتشارد ايتجهاوزن

## عناصر الزخرفة :

### اولا - الخط العربي :

لعبت الكتابة دورا مهما في الفنون منذ القدم .. فالتكثيف الهيرغليني في مصر والمساميرسة الاولى استخدام الرمز والصورة في توضيح وتحديد المعنى . اما الكتابة العربية فلم تكن تحل تلك الخصيصة التصويرية بعد ان اصبحت مؤلفة من حروف هجائية مركبة .. وهي لغة حيث خصائص الفن وصارت جزءا منه ورسولا له .

ويرجع د. عفيف بهنسي اللغة العربية الى تزاوج بين الاكادية والامورية ويفضل عدم نسبتها الى سلسم بعد ان ارى عدد من الباحثين من انثال نوبيني وفيسر ومجد عزت دروزة خطأ هذا المنحى الذي اعتمد على تفسير ديني ناثي عن نصوص جاءت في سفر التكوين وان كانت اللغة قد انتقلت في الجنوب من ثمودية الى صفوية الى الكتابة المسندية النبطية التي التقت بالعربية الحديثة .

ولقد ظهر الخط كوحدة زخرفية في الفن العربي .. ليسب سياسي فقد أمر عبد الملك بن مروان باستخدام الكتابة بالعربية في الطرز والنسيج لكتابة اسمه عليها كرمز من رموز ملكه - علاوة على الدعاء له على المنابر وسكه على العملة - وهكذا صار من الضروري كتابة اسم الخليفة على المياني او على الطرز .. ولما كان الخط العربي يكتب افقيا فقد استحدث الشكل الزخرفي الانفي وصار يسور كل بيتي بشرط من الكتابة بالخط العربي - يذكر فيها اسم الله ورسوله والخليفة .. حتى تحول الخط بعد ان تطور وتعددت مدارسه الى وحدات زخرفية اساسية في الفن العربي بالإضافة الى العنصر الآخر وهو الرقش « الارابيسك » الذي يتكون من زخارف نباتية محورة . وصار الخطاط - كما قلنا - من اهم الشخصيات ومن ثم ازدهر فن الكتاب ( Art of Book ) وظهرت الصور التوضيحية المصاحبة لما في الكتب .

ويرجع تاريخ اللغة العربية الحديثة الى بداية الميلاد لكن اهميتها زادت من خلال ارتباطها بكتابة القرآن وانتشار الدين الاسلامي .. ولهذا حمل الدين الخصائص العربية - لغة وكتابة الى كل مكان وصل اليه الاسلام - واستحسن المسلمون الاول الخط الحسن « قال علي ( كرم الله وجهه ) : عليكم بحسن الخط فانه مفتاح الرزق » وربطوا حسن الخط بمسائل دينية بغفر الله ووضوح الحق قال ابن العباس ( رضي الله عنه ) « الخط الجميل يزيد الحق وضوحا » وعن وهب قال : « ان رجلا كتب بسم الله الرحمن الرحيم فأحسن تخطيطه غفر الله له » .

### مقدمة :

كثرت الدواوي حول الفنون التشكيلية عند العرب المسلمين ، وبينما وقفت طائفة من الباحثين الى جانب الراي القائل بالا فضل للعرب فيما انتج من فنون وان الفضل - كل الفضل - لآدم التي دخلت الاسلام ، وقفت طائفة اخرى في الجانب الآخر فالكنت حق العرب فيها يسمى بالفنون الاسلامية .

وسنحاول في هذه الدراسة توضيح فلسفة الفن عند العرب من خلال عناصر وخواص الفنون التي انتجها العرب المسلمون ، وان كل هذه الفنون نتاج حضارة واحدة هي الحضارة العربية الاسلامية .

الدين الاسلامي دعوة عربية صرفة : نزل على نبي عربي ، وقرآن عربي ، كتب بلغة عربية ، وانتشر وانتشرت معه الثقافة العربية حايلة معها كل مضامينها الذهنية والمعنوية ومشتملاتها الحضارية ، فسيطرت الروح العربية على العالم الاسلامي من الاندلس حتى الهند ، وظلت كذلك في جميع الاقطار الاسلامية التي استقر فيها حكم العرب وسلاطنتهم اما تلك الاقطار والامصار التي تحركت فيها الشعوبية فقد ضعفت فيها سلطة العرب السياسية وبالتالي فقدت الثقافة وجهها العربي وكذلك الفن فهو احدى الصور العليا للثقافة . ونحن نستطيع ان نطلق على الفن الاسلامي بعدد الاسلام في الامم والاقطار التي دخلت الاسلام . نطلق عليه الفن العربي ، ذلك لان الاسلام - بالقطع - اثر تأثيرا واضحا على فنون تلك الامم - فارسية او تركية او هندية او غيرها - ولما كانت روح الاسلام وتقاليد عريقة .. ورثها العرب عن اجدادهم الساميين ، لذا كان التأثير هنا عربيا وبات من الضروري ان نطلق على هذا الفن - الفن العربي - مما يبعد عنه اتهامات كثيرة ويربطه بتقاليد راسخة .. وترد اليه اصلته ومشروعيته . ويحدد مدى تأثيره على فنون الامم الاخرى .

كان للدين الاسلامي تأثيره الكبير على فنون تلك الامم ، فغيرت المردادات الفنية لدى تلك الامم ، وتحولت الى صيغ جديدة للفن .. تحمل الطابع الاسلامي الجديد الذي تمثل في الخط العربي الذي نقشت به الطرز وأرचित المساجد بشرط افقي من الخط .. وسك على العملة .. فكانت العمارة مثلا بينظمية الطابع تحمل السمات الاسلامية من خط وعناصر زخرفية اخرى .. وقبل ان نتعرض لفلسفة الفن العربي .. نعرف اولاً على عناصر الزخرفة الاسلامية العربية وخواص الفنون الاسلامية العربية .

وكان الخطاط يتم كتابة المخطوط تاركا فيه الفراغ الذي يطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الاشكال النباتية والهندسية المذهبة ، او تنقش فيه صور ذات صلة بنصوص معينة في المخطوط ، وقد لا يكون لبعضها أي صلة قريبة به ، ويكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب ، ويكثر في مثل هذه الاحوال ان تكون الصورة منتقولة عن مخطوط اخر ، وان يكون موضوعه عاما ، كمنظر استقبال في قصر او منظر طرب او شراب او لقاء حبيبين .. وكان المخطوط يسلم بعد ذلك الى فنان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف ثم الى اخر لنذهب هواشه وصفحاته الاولى وصفحاته الاخيرة وبداية فصوله وعناوينه وغير ذلك من الزخارف المنفرقة .

« وكانت الرسوم النباتية والهندسية المذهبة في المخطوطات تصل الى ابعاد حدود الاتقان » (١) وكانت

وكان تجويد الخط هو الميدان الوحيد في الفنون الاسلامية الذي تعرف ابطاله وقد عرف المسلمون ضروريا شتى من الخطوط العربية :

**١ - الخط الكوفي بانواعه :**

منذ ان بدأ بسيطا رصينا وتطور الى المورق والمشجر الذي يخرج من اطراف حروفه سيقان نباتية دقيقة محملة بالوريقات المختلفة الاشكال وتزخرف نهايات حروفه بها يشبه الفروع عندما تخرج من السيقان او بزخارف اخرى ورقية الشكل او ذات فصوص ( عرف في وادي النيل ٢ هـ ٨ م ) وهناك كتابة كوفية تقوم على ارضية من الزخارف النباتية المستقلة عنها هذا عدا استعمال الخط نفسه كعنصر زخرفي مع الاستفادة من التوقيصات والدوائر وهناك من يجمع بين التصغير والتوريق والارضية النباتية ، وهناك الكوفي المربع هندسي الشكل قائم الزوايا .



هذه الرسوم « بسيطة في البداية وقامت على اساس الزخارف الساسانية والبيزنطية والتبطينية ، وعلى مد عرفة المسلمون في كتب المسيحيين من اتباع الكتيبة الشرقية ، ووضوح ذلك في اختيار الالوان وفي الرسوم الهندسية والنباتية ثم غلبت رسوم النجوم المسدسة المثلثة ورسوم الفروع النباتية المتصلة ورسوم المراو النخيلة » المائل (٢) .. ثم اصبحت مسطور الكتاب تحاط بخطوط دقيقة .

ولقد اعتبر الخط اشرف الفنون وارتفعت مكانة الخطاطين واحتل عدد منهم الوزارة ( الوزير الاندلسي حسان بن مالك وزير المنصور بن ابي عامر ) . يقول لوبيون « لقد بلغ الخط العربي من الصلاح للزينة حدا عظيما مما جعل رجال الفن في القرون الوسطى وفي عصر النهضة يكثر من استنساخه - كان يقع تحت ايديهم اتفاقا من قطع الكتابات العربية فيزينون بها المباني المسيحية » .

## ٢ - الخطوط المدورة :

وبعضها تبدو فيه العبارة على هيئة طائر او حيوان او شكل مقصود كسفينة نوح وفيها يعمل الخطاط على اظهار الخيال والابداع .

## ٣ - الخط النسخي :

وترتبط - في بعضه - هابات الحروف بحيث تبدو كأنها شقا مقص .

وهناك اشكال تاعدية مزيج من الكوفي والحجازي والثلاث والتلثين والنصف والرقعة ، وابكر العثمانيون الخط الهمايوني .

لذا كان الخط هو ذلك الكنز العظيم الهائل الذي عثر عليه الفنان المسلم فهو بطبيعة حروفه ومسا فيها من تقويس وانبساط واتصال وما تقبله رؤوسها وسيقاتها من تدوير زخرفية وتوريق وترابط . كان اكبر عون للفنان .. فبلغ الخطاط مكانة عظيمة في العالم الاسلامي وتطور الخط الى الدقة والرشاقة والجمال الزخرفي .. وخصوصا كتابة المصاحف .

## ثانيا - الزخارف الهندسية :

وهي تلك الرسوم الهندسية التي اخذت بها الفنون العربية ، تراكيب هندسية ذات اشكال نجمية متعددة الاضلاع دأعت في مصر واستخدمت في زخارف التحف الخشبية والنحاسية وفي الصفحات الاولى الذهبية في المصاحف والكتب وفي زخارف السقوف .

وقد ارجع بروجان تفوق المسلمين وبراعتهم في هذا النوع ، وليس الى المذهبية والشعور فقط - بل انها كانت تقوم على علم وافر بالهندسة العلمية .

## ثالثا - الزخارف النباتية :

استخدم المسلمون الجذع والورقة لتكون زخارف تمتاز بالتكرار والتقابل والتناظر .. وتبدو عليها مسحة هندسية تدل على سيادة مبدأ التجريد والرمز .

## الارابيسك :

اكثر الزخارف النباتية ذيوعا وهو نوع من الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع منننية ومتشبكة ومتتالية وفيها رسوم محورة عن الطبيعة Stylised ترمز الى الوريقات والزهور وتسمى احيانا بالمت او نصق بالمت ( ظهرت في ٣ ق هـ - ٩ م ) وبلغت عظمتها في ( ٧ هـ ١٣ م ) .

وهناك نوع اخر غير الارابيسك - مكون من جذوع نباتية وازهار واوراق تختلف في دقة تقليد الطبيعة من اقليم لآخر .

ويرى بعض مؤرخي الفن ان هذا النوع من الزخارف يرجع الى الفن الاغريقي والهلهني والبطراني الاموي هو حلقة الاتصال بين الزخارف النباتية في العالم الكلاسيكي وما تطور عنها في الفنون الاسلامية . ويؤكد ذلك اننا نرى في الطراز الاموي تحفا عليها زخارف نباتية يمكن نسبتها الى الفن الهليني اذا لم تكن هناك كتابة وتطور بسيط يحدد نسبتها الى العصر الاسلامي .

## رابعا - الصور الادمية والحيوانية Miniautre Painting

يا لم يكن رسم الحيوان مقصودا لسذاته - الا في النادر - وانما اتخذت موضوعا زخرفيا وكانت توضع في دوائر او اشطحة او في مناطق هندسية مختلفة الاشكال منفردة او متواعدة او متدايرة .. ويرجع البعض الدافع الى رسم الحيوان الى كراهية الفراغ والرفيعة في تغطية السطوح والمساحات بالزخارف . وقد استعمل المسلمون في زخارفهم صورة الاسد والفهد والفيل والغزال والارنب والطيور الصغيرة ومعظمها من حيوانات وطيور السيد وحيانا رسم حولها فرع نباتي يتدلى من متقارها كما في الفن الساساني .

ويرجع البعض اصول رسم الحيوان الى اصول

بيزنطية ، برغم ان الفن البيزنطي قد اخذ عن ايران واشور وسوريا وبلاد الحثيين .

وعندما استعار المسلمون وحدات حيوانية خرافية مركبة من الشرق الاقصى - التنين والعقائد مثلا - جردوها من معانيها الرمزية واستعملوها كوحدة زخرفية فقط ومن اشهر الحيوانات المركبة الفرس ذو الوجه الاممي ، وهو تريب من البراق الاسلامي .

وهناك صور تضمنتها المخطوطات ( التاريخ الطبيعي - كلية ودمية ) رسم فيها شتى انواع الحيوان والطير وهي رسوم توضيحية وليست زخرفية .

## خواص الفنون الاسلامية العربية :

١ - كراهية الفراغ : وهي ميل الفنانين المسلمين الى تغطية المساحات وهربهم من تركها بدون زينة او زخرفة لانها فنون زخرفية قبل كل شيء .

٢ - الزخارف المسطحة : تندر الزخارف البارزة وانصرف الفنانون عن التجسيم الى تغطية المساحات برسوم سطحية خفف وطلاتها اللون والنضيب .

٣ - البعد عن الطبيعة : ظهر بعدهم عن صدق تمثيل الطبيعة ولذلك طغت عليهم الابتكارات في الاساطيل والاضواء .

٤ - التكرار : تكرار الموضوعات - الارابيسك - الرسوم الهندسية ، الحيوانات المتواعدة والمتفانية - الطيور - اناه يخرج منه جذع يتفرع الى اليمين واليسار - افسطبان على العرش - وجانبه بعض ابناءه - الامير جالس القرفصاء وفي يده كأس .

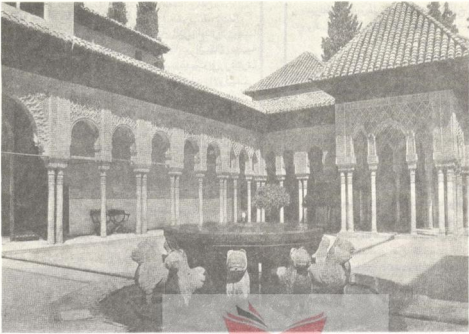
٥ - الرسم التوضيحي والصور الصغيرة : عني بها المسلمون بتوضيح بعض الكتب الادبية وتزيين دواوين الشعر بالصور الصغيرة واتدم ما وصل الينا منها يرجع الى نهاية القرن الثاني عشر « خطابات كليلية ودمية ، مقامات الحريري » .

٦ - تصحيح الواقع " Deformation " اي تحويل معالم الواقع وتعديل نسبة وابعاده وفق مشيئة الفنان

٧ - تغفيل الشكل والواقع " Denaturation " اي الابتعاد عن تشبيه الشيء بذاته .

وهناك عدة تفسيرات لتلك السمات والخواص اولا بالنسبة للتصحيح :

١ - مراعات العقيدة الدينية : فالانسان مخلوق عاجز لا يضاهي قدرة الله في الخلق .. وجد ليعبد الله ( وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ) والانسان همذا تقف وظيفته عند حد العبادة فقط لها وظيفته الله هي الخلق .. ( هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء .. لا اله الا هو العزيز الحكيم ) سورة آل عمران آية ٦ ( هو الخالق الباري المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم )



غرفة -

النافورة وتماثيل  
الأسود ، في قاعة  
الأسود المشهورة



## ARCHIVE

سورة الحشر آية ٢٤ .. لذلك لا خالق ولا مصور إلا الله ..  
نفسر هذا الالتزام في عهود كان الخلفاء يرمعون فيها

ويرى سبب التصحيف أن (الذهن العربي اتجه بنظرات الحدسية الى الكشف عن الجوهر الخالد .. الجوهر الكوني المتصل الذي لا يقبل التجزئة ولا التباين .. وهذا الكشف يتم بالغاء الجوانب الحسية الزائلة من شخص الانسان ومن الطبيعة على السواء .. فلقد كانت الملامح الحسية تعوق الحدس عن ادراك غايته وهي الجوهر الحق .. بل تصرفه الى التعلق بالمظاهر الواقعية والمكانية فتجعل منه حسا مرتبطا بالفرائز والميول ) (٥) .

ومن الغريب أن ماتيس — مثلا — ادرك سر التصحيف فقال « ان الدقة لا تؤدي الى الحقيقة ، فالحقيقة ليست الصورة المطابقة للشكل ولكنها في الشكل المطابق للمعنى الكلي » (٦) .

ان الفنان العربي كان ينزع الى عالم الغيب لا عالم الشهادة .. ولا يهتم بالجوانب الحسية للأشياء التي تعوقه عن الجوهر .. وكان ارتباطه بالغيب قويا .. « حتى يصل به هذا الارتباط الى قلب الفكرة .. الى اشارة وقلب الواقع الى رمز كلي ، فبقدر ما كانت الصورة بمصحفة .. بقدر قوة هذا الارتباط .. فهو لم

ونظرا لان الخلق هنا — خلق الانسان — فالتصوير ايضا هو تصوير الانسان لذا يمكن ان يعتبر تصوير الانسان ونحته مضاهاة لقدرة الله على الخلق وثمة حديث شريف نهى عن ذلك ( من صور صورة في الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة .. وليس ينفخ ) .

٢ — محاولة المصور تغيير ملامح الوجه البشري تحاشيا لعذاب الله ويرد في الحديث ( ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ) .

٣ — يرى بعض مؤرخي الفن ان سبب التصحيف هو عدم قدرة الفنان العربي وضعف ثقافته الفنية .

٤ — وهناك تفسير رابع يرى ان في التصحيف محاولة للتفريق بين العمل الفني الذي لا يهتم بالشكل وانما يهتم بأبعاد أخرى فلسفية وفنية ، وبين صناعة الاصنام التي حرّمها الله ..

ويناقش د. البهنسي تلك الآراء ويرى ان اصحابها يرون في التصحيف نوعا من الالتزام الخارجي للفنان .. ود. البهنسي ان كان يمكن ان يؤدي تلك النظرة في صور الاسلام الاولى الا انه يتساءل .. كيف

يسع الى الدقة والمحاكاة .. بل الى اسقاط حدسه العام عن عالم غير ذي حدود ومواصل . ( ٧ )  
 اما التنغيل الذي اتسم به الفن العربي — والناتج ايضا عن الوحدانية في العقيدة العربية — فيعتقد البعض ان سببه هو العزوف عن الحياة في الدنيا واللجوء الى الله دائما موثلا الانسان في الحياة الآخرة .  
 « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » سورة الحديد آية ٢٠ .

« ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون » سورة الروم آية ٢٨ .

وهناك رأي لبشر فارس أورده في بحثه سر الزخرفة الإسلامية (٨) رأى فيه ان الفنان العربي كان يرى في تصوير الحياة متاع الغرور .. ( وهو مشاع بضلل وينحل بآراء الذي بين يدي الله ) وفي القرآن الكريم :

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح خشيبا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا » سورة الكهف آية ٥٥ .

ولهذا يسعى الفنان العربي المسلم الى ازالة كل صلة في موضوعه في الحياة الزائلة والتقرب من المطلق .. ومن الله .. (وما عند الله خير وأبقى ) ( القصص آية ٦٠ ) .

ويقول الاستاذ بشر فارس ( يتضح الفنان المسلم أجزاء المادة حتى يتيسر له ان يلتقط منها ما كان نسجه اقل فسادا ، وهكذا تمنى المادة ما تمنائه من اقتطاع وتضمير فتبدو مبتورة مسحاة ، فتنم عن الشبهة التي تلابس ماهيتها في دنيا تافهة ايها تفه « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو » ( الانعام ٣٢ ) . ( ٩ ) .

ان غاية الفنان العربي المسلم اوضحت في النهاية غاية صوفية هي التوحد مع الكون .. كان غرضه دائما .. الاندماج الكلي في موضوعه .. لكي يصل الى روح العالم .. ويصير جزءا من كون اكبر .. لم يكن يريد ان يؤكد انفصال الاشياء في ذاتها ولكن كان دوره الذي سعى اليه هو الغاء الطبيعة المستقلة عنه .. مزجها لخلق العرضي .. باحثا عن الاندماج الكلي .. وصارت عناصر الرقش العربي ( الارابيسك ) غير تشبيهية .. مركزة على عناصر صوفية ايجابية . ودعوى اخرى يمكن ان تثار حول استاتيكية الرقش العربي .. ولكن فهم الفلسفة الصوفية للفن العربي .. القائمة على البحث عن الجوهر والحق .. عن سر الوجود .. عن الله .. فهم هذه الفلسفة يقضي بان الفن العربي يمتاز بديناميكية من نوع خاص .. وديناميكية متميزة بميزتين .. التكرار .. والوميض

.. اللذين يظهران من خلال الاحلاح المستمر بتكرار الوحدة في الرقش . ان الديناميكية هنا تتجلى في مظاهر هذا الاحلاح .. ان الصوفي — في الذكر — يكرر عبارة ( الله هو ) مئات المرات حتى يفقد وعيه ويغيب في نشوة الاتصال بالله . ( رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) سورة النور آية ٣٧ — اما في الفن الفلحي وراء الجوهر يتم عن طريق التكرار . وهي الصورة الانشائية ويظهر في الرقش اللين .. والسوميش .. وهو الصورة المركزية — ويظهر ذلك في الجابات ذات التخطيط الهندسية المستقيمة والتي تسمى ( الخيط ) .

ويؤكد « بشر فارس » في سر الزخرفة الإسلامية هذا التصنيف فيقول « من الممكن ان نثبني في الرقش عنصرين ثابتين ، تندعها الطبيعة خفية ، ويتم الاعتدال بينهما احساسا بالمناسبة بدني رهيبت ، ما يحصل اوضاعها اختلاف الامكنة والمعود بفضل ارتقاء متصل في جانب الحجم وفي جانب الشكل » .

واما العنصران ، فمن جهة ، تاويل النبات ولا سيما الورقة والساق ، تاويلا كله هزة . ومن جهة استغلال الخطوط استغلالا يجريه التصوير . ومن وراء العنصرين ميدان ، الاصل يظهر كأنه العشب ، والثاني يبرز في هيئة التدقيق الهندسي ومن هنا تخرج طريقتان : الرمي .. والخيط ، على حد تعبير المعاصرين من اهل الصناعة في دمشق خاصة ( كأنها يد الصناع تنظم الخلووط بخيط او تفر من الورقة والساق عن طريق الرمي ) ( ١٠ ) .

وبذا بدأ الرقش العربي في تشكيلين اساسيين ، لا يمكن الجزم بانفصال مصدرهما سواء عن العقل والحس او الهوى والحسد .. ذلك لان الفنان العربي كان ينقل ما يستشرفه في حالات الوجد الدائب المرتبط منذ القدم — عند العربي بروحانية راسخة دفنته للبحث عن ( لا نهائية الملائد الاجل ) كما قال بشر فارس .

« ان العربي كان يستجسج مرشوه من طرف الحسد .. او ما يمكن ان يسمى بالوحي .. والحسد متفوق على الحس .. ويعتبر العمل الفني — في ضوء هذا الفهم — ارتساما واعيا محسوسا للتجلى او التعالي .. ومن هنا يمكن ان تقطع بان الصورة الالهية هي الصورة الثابتة في وجودنا منذ الازل . اما الصورة العقلية فهي الصورة القابلة خارج وجودنا بفعل منا .. ويقول ابو حيان التوحيدي — فارس عند الجبال العربي — في كتابه الامناع والمؤانسة « ج ٢ ص ١٢٧ » وقد قيل في الصورة ؟ قال : التي يخرج بها الجوهر الى الظهور عند اعتقالب المصور اياه » ( ١١ ) .

حيث هو قائم بنفسه في تنزيه مطلق يفوت مرعى الحسن . وعلى هذا ان قوة ادراك الحيز لا تجد راحة اذ لا تنفك تبحث عن لا نهاية الملائد الاجل ، وهي تنتقل على غير وعي ، في حدود العجز البشري المتناهي ، مشغولة برؤيا سانية » ( ١٣ ) .

**من هنا لدونة الرقشة وقد ال بها الخفاف بين يدي الاسلام ، ان عتقت من الواقعية الهيبلينية وخلصت من الصلابة الفارسية ، فلا ابتداء لها ولا منتهى وما يجوز لها ان تطمع في احد منهما ، لانها تسعى وراء الله ، هو الاول والاخر » الحديد ٣ ، منه تبتدى الاسباب واليه تنتهي المسببات .**

وبفضل الله ونعمته ترى الرقشة دوارة تارة وتارة متوترة ، وهي ، في اكثر الحال تلتوي وقلبها يركها البهر ، وجهتها ابدا ، مالا حد له ، فهي ماضية بلا علل ، وهيئات ان تبلغ ما تهدف اليه ، فمضاتها شأن ايقاع يترنح بنقادا للصبر .

ان التفاف العرق بوروده واوراقه ، وكذلك انبساط السطوح يقفان فجأة احيانا او يتكسران حتما على الحواجز عند اطراف الساحة التي تستقبل المنسق . اترى يرمى الالتفاف والانبساط بهذه الهزيمة ؟ كلا ، اما العرق فلا تختم مداته ، واما السطح فلا تلحسم اضلاعه . بل كل يصل الى المدى المقدر له وهو في نشاطه . اما عند راس انتقاله ، واما في قلب اشتباكه ، كأنها يأنهب لاشتتاف الاندفاع ، فيدعوك الى ان تثبت وراءه في الخلاء ، لعلك ، من طريق التخييل الخلاق ، تلاحق بجولاتها ضمته تسوة الواقع .

والاندفاع مع رقص الرمي طياش محير ، وهو مع رقص الخيط رزين ومريح وكلا النوعين ينفرش على المهاد ويكسو العصاب ويعلو الزواق ويثب الى الافريز ويتناول العرض ويهجم على الفراغ . وتبلغ به الهمة ان يتعرج حتى في الكسبة فيحكى مكاسرها واطواءها تلك نشوة مشتم في الخط تنبئك ان افق الغيب المستغرق دون المؤمن مشغلة دائما لذوقه .

لا شك ان حدود الطبيعة تسفرخي بين يدي الفنان وهو يرقص . ولكن هيئات ان يرتد الثمن الظامي الى مسابح المجهول ( ١٤ )

« والاسلوب العربي — الاسلامي يصرف الفنان عن تجسيم الاشكال التجسيم البالغ او الوثيق . فنراه يقطع بان يومض الى التواء . والصورة التي فيها هوى لا يتبادى في ابراز ملاحظها : لا تبرة ولا خرجة ولا وثبة بينه . فما لكل هذه على التحقيق سوى اضافات واهية خارجية ، انها من مخايل « زينة » تلحق بنفسه كبره يحيط به الباطل : « اعلموا انها الحياة لعب ولهو وزينة .. » الحديد ٢٠ » وما اوتيت من شيء فمتاع الحياة الدنيا

ان صورتني الرقش العربي .. تلك التي تعتمد على العتل والحساب .. او ما سمي بالخيوط والاخرى التي تعتمد على الحدس والعفوية والاسترسال او ما سمي بالرمي ... كساتنا موضع جسد دائم .. فكما رأينا الخلاف في الفهم بين بشر فارس والتوحيدى .. فالاول يقدم « تفسيراً يقوم على أساس الاسلوب اما التوحيدى فيقسمها على أساس المراحل الابداعية .. مرحلة اولى .. مرحلة التصوير الالهى وهى المرحلة التي تنضم فيها حدود التجلى الالهى عند الفنان ، وهي الجاهات المركزية والدائرية التي تنطلق من الجوهر فانها ترد عليك وتأخذ منك بقهر وقسوة وتحجبك عن لم ؟ وكيف ؟ ولا تحيى ، ولا تطلب ، وانوارها بروق تمر واذا حصلت لك بالخصوصية لا نصيب لاحد منها وهي للصون والحفظ .

اما المرحلة الثانية فهي مرحلة التصوير العقلية وهي التي تتجسد فيها التصورات الحدسية وتنضج فيها حدود البراعة والنفطة في مقدرة التصوير وهي التي تصل اليك فتعطيك برفق ولطافة وتفتح عليك لم وكيف ؟ ويسعى اليها ويسأل عنها وانوارها شمس تستنير واذا حصلت لك فأتت وغيرك شرع فيها وهي للبدل والافاضة .

ولكن بشر فارس والتوحيدى لا يريان في النهاية كبير فرق بين الاسلوبين حتى ليقول بشر فارس ( وهذان المبدآن يتفانان في الظاهر الى حين انهما يلتقيان في اتفاق عجيب يضم التمثل الى الشهور ، بل هما يتلفان حتى التماثل والملازمة ) . وهما ايضا يقومان على فكرة البحث عن الجوهر .. عن الله .. ففي الصورة الاشعاعية ترى الكون بها فيه يدور في فلك واحد منشؤه الله الاجل ومنتهاه الواحد الاحد « هو الاول والاخر » سورة الحديد اية ٣ — وفي الصورة البتول .. ترى ان الرقشة الجيلة تصبو باستنار نحو الجوهر « اذ لا مبتدا لها ولا منتهى وما يجوز لها ان تطمح في احد منها لانها تسعى وراء الله » وانه هو يبدى ، ويعيد « سورة البروج اية ١٣ .

وعلى هذا فالصور العربي يعتبرها انه يقوم بعمل رصين لا يفتقر عن العبادة وفي ذلك يقول بشر فارس : « ويعيد ان ينحدر الرقش من بدوات العبث ، وان زعم قوم من النقاد هذا ، فالرقش ثرة التوقسان الاسلامي : ثرة متفاعة ، وتوقان مذعان يخلط على هلع ، على المؤمن ان يتوجه بكيانه الى الله ، فالله مصدر جذب وغاية سعيه في آن واحد ، وفي القرآن : « ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله » البقرة ١١٥ ... على ان الله جد مخالف لمبادئه من





غرناطة - قصر الحمراء . . . دفاق زخارف  
أحدى العواميد وتاجه .

وزينتها « القصص ٦٠ ، قل : « ومتاع الى حين »  
الاعراف ٢٤ .

وإذا كانت الاشكال المجسمة ضربا من ضروب  
الزينة فهي تولد فنا غايته الترويح ومن هذه الطريق انقلب  
التشكيل الى تنسيق فالعيب (١٠) - باشراف معانيه -  
مال الفن اذن - لا مصدره - وان قال النقاد عكس هذا  
من قبل « (١٥) .

ويقول د. عفيف البهنسي في حوض فكرة هندسية  
الخيال في الرقش العربي ونهية من يعتقد ان الخيط في  
الرقش العربي هو عمل هندسي محض يقوم على ثغرات  
واشتقاقات للأشكال الهندسية الاولى - المثلث  
والربع - والواقع ان شكل الخيط اذا كان هندسيا فانه  
ذو مضمون ثابت . وليس الطابع التجريدي فيه الا لكي  
يكون مطابقا للمفهوم المطلق الذي يتضمنه ، فهو يعتمد  
على الحدس المجرد من جميع المعطيات الحية والبعيدة  
عن العقل الرياضي المبني في الظاهر على علاقات جد  
حسابية وهو في الواقع يسمى وراء فكرة جوهريه هي  
فكرة الله الاحد ، فالنقطة المركزية هي الجواهر الذي  
يصدر الاشياء كلها واليه ترجع جميع الاشياء « (١٦) .  
وفي هذا يقول بشر فارس :

« والزى خاصة متى أفلت من سلطان الترافف  
قارب « الفن المجرد » هذا الذي يفتن به الان المتطرون  
في اوربه ولا سيما في باريس ، وهو على نوعين فاحد  
اعني النوع الذي يحيد عن النصور المعقول الى اختراع  
بنيات خارجة عن منظورات العالم ، نائهة وراء الدلالات  
المواترة والوجدانيات المتوارنة ، بل الى الذي يعمد  
الى تخفيف الاشياء المحصلة في الواقع فيفرغها مكتفيا  
بخطوط معتدلة مبنية عنها ترتب في نظام يبدو كأنه جاء  
اعتباطا (١٧) .

ويرى بريون ان الرقش العربي اذا قام على مبدأ  
التجريد لابتعاد عن مضاهاة الله فانه يصبح موضوعيا  
لا يرتبط بالتجربة الذاتية عند كل فنان . وهذا ظلم لا  
يبرره واقع الرقش العربي الذي يقوم على التغيير  
المستمر مما تراه واضحا في منبر جامع القيروان . فكل  
رقعة منه ذات رقعة مغايرة كذلك نوافذ الجامع الاموي  
كل خيط فيها مختلف عن الاخرى كل الاختلاف .

#### فلسفة الفن العربي :

والفلسفة التي قام عليها الفن العربي تتمثل في  
ان الفن العربي تحكمه ابعاد روحية . . تتمثل في  
الوحدانية . . والتعالى . فالوحدانية في الاسلام هي

ان ذات الله مطلقة « ليس كمثله شيء واحد بذاته واجب  
الوجود لذاته . . وهو كل موجود بالقوة . . وهو  
الموجود الحقيقي الدائم والكون متبني عن الله . . عن  
الجوهر . . فالله هو الجوهر ذاته .

والانسان . . بما فضله الله به . . وبقدرته التي  
اودعها الله فيه . . وبخصائصه التي تميز بها عن  
سائر عناصر الكون . . وحيويته الدافقة . . يصبو  
دائما الى مصدر الكون . . الى جوهر الوجود . . الى  
الله .

والتوحيد عند العرب قديم ، فقد كان هناك  
التوحيد الابراهيمي واعتنقه اتباع ابراهيم الخليل وهناك  
الحقنء الذين كانوا يعيشون في مكة قبل الاسلام .

(\*) عبث Caprice بمعنى ارتكاب امر مرسوم القائسة - وقيل بما ليس فيه غرض صحيح لغامله - ( عن التعريفات

للجرجي ) ( عن هوامس سر الزخرفة الاسلامية ) .

الفن الحديث .. عندهما أهل كل ما هو عرضي ( التجريدية ) وقال البعض ( بربون ) ان ذلك تم بنائير الفن العربي علاوة على قيام فلسفة للفن ( برجسون وكروتشه ) ترى ان الفن معرفة حديثة ( ١٨ ) .

ان هذه القيم الروحية القديمة عند المورب .. جعلت الفن — بعد الاسلام — يحل طابعها موحدا في جميع العهود والامصار ، العربية منها او التي خضعت للحكم العربي .. ويرى د. عفيف بهنسي ان هذه الوحدة تمتد الى الجذور الاولى لامة العربية فالتقاليد التي وضعت اصول الفن الاشوري والبابلي والكلداني والتي امتدت الى الفن الارامي والبيزنطي هي نفسها التقاليد التي ورثها العرب بعد الاسلام فلقد كره الاسميون الابداع تصوير الاجساد واقاموا عمارتهم على اسس تصاعدية انعكست بذلك روحيتهم المتعالية غائزيفورات والابراج التي اخذت الماذن شكلها كمؤنفة الملويدة وصورت انتكاهم وتالمهم الباطني بطراز عمارتهم المخلط الداخلي الذي ترى نماذج شائعة حتى اليوم . ان جوستاف لوبون يؤيد ذلك ايضا فيقول في كتابه حضارة العرب : ( انه يكفي ان نلقي نظرة على اثر يعود الى الحضارة العربية كتصميم او مسجد او على الاقل اي شيء مجبر أو خنجر أو مغلف قرآن لكي نتأكد من ان هذه الاشكال الفنية تحل طابعها موحدا وأنه ليس من شك يمكن ان يقع في اصلها ليس من علاقة واضحة مع اي فن آخر ، ان اصالة الفن العربي واضحة نيا ) ١٩ .

يرى د. عفيف بهنسي ان هناك خطأ شائع يتمثل في النظر الى تأثير الفنون السابقة على الفن في عصر الاسلام .. من فنون بيزنطية او رومانية او هلنسية .. ويتناسون ان الفن العربي في جذوره الاولى ( الفن الفرعدي والارامي ) قد ترك اثره لجميع الفنون التي ظهرت على هذه المنطقة .. لذا ترى ان جميع المظاهر الاسامية لفن العمارة الاسلامية هي استمرار لمظاهر الفن الارامي والرافدي القديم .. فالمعقود والقبوات والقباب .. يعتبر من مميزات العمارة الراقية منذ الاكاديين وحتى اليوم .. ظهر في الفن الروماني الشرقي .. بل في روما ذاتها . ( ٢٠ )

وقد أكد جورج مارسية ذلك في كتابه « الفن الاسلامي » ترجمة د. بهنسي فيقول « ان الفن البيزنطي استمد من اسيا اكثر بكثير مما استمد من الاغريق وأنه ليس من قبيل الصدف ان يتولى عمارة ايا صوفيا في القسطنطينية معماريان شرقيان هما ايسيدود وانبثيوس ويعني بذلك تأثيرهما الجذري على شكل العمارة الميزنطية ( ٢١ ) .

وتشيا مع الخطأ الشائع الذي ذكره د. بهنسي

ايا بالنسبة لعبادة الاصنام .. فقد كانت تلك الاصنام « وسيطا » لاله .. ولم تكن هدفا بذاتها ( ما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ) سورة الرمز آية ٣ .

وفكرة الله كانت قائمة قبل الاسلام بدليل الآية الكريمة ( ولئن سألنهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون ) سورة العنكبوت آية ٦١ .

ولان الله واحد احد .. خالق الكون ومنشئه ، لذلك يتلافى مبدأ الوجدانية مع مبدأ الكونية .. فالكون رحاب واسع والانسان فيه ليس اكثر من جزء لكنه يحل في اعبائه معاني المطلق .. فهو كمادة ليس له قيمة الا بما فيه من جوهر .. والله .. هو الجوهر بذاته .

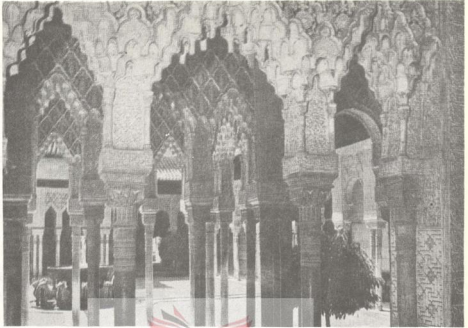
ولكي نصل الى الكشف عن الجوهر الذاتي لا بد ان نتخلى عن كل ما هو حسي .. وما هو عرضي فالقابل الذاتي هو فعل وجداني محض لا يقيم وزنا للجزئيات المادية في الوصول الى الحق وهو يلتقي عند العرب بالحدس الخارجي .. ولذلك فسان النظرة الى العالم الخارجي تتربك من الجزئي والكلبي .. المعرض والجوهر .. المادة والروح .. الانسان والحق .. وذلك لكي يكشف عن الوجود الحقيقي .

والفنان العربي رחالة بحائنة عن الجوهر .. عن الله . لذلك اقام فنه على معنى الحدس .. ذلك الذي يجتاز حدود العرضية والمادية لكي يستقر دون مقدمات ذهنية في عالم المطلق .

والمعرفة الحديثة تزداد اتساعا كلما ازدادت عمقا .

والحدس — بهذا — غير الاحساس لان الاحساس هو الصور الواقعية المحددة التي تنتج عن آلية رياضية ولان المعرفة الحسية سطحية .. فان الفنان العربي الذي لم يتم وزنا للخصوصيات .. فهي ستظل في الاثر الفني ضمن حدودها المادية ، اتدفع في الوقت نفسه ليحقق قوله تعالى « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاطيه » سورة الانشقاق آية ٦ . سابعاً وراء الجوهر بمنلتنا وراء المطلق وراء الله .. حتى يمكن ان تنقل معرفته القدر الاكبر من الدلالة الوجدانية .

ان التغافل عن المحسوسات كان طابع الفن العربي .. ذلك عكس الفن الغربي الذي اهتم بالاشكال العرضية فكانت افروديت وفينوس واثنين صورا للكمال الجسدي .. فما يدل على ان الجوهر في الفن الاغريقي كان ممثلا في الجسم البشري لذا فالفن عند الغرب قام على المعرفة الحسية ولم يحاول البحث عن المطلق الا في



غرناطة -

قصر الحمراء

... الأعمدة المتقنة

عند قاعة الأسود ..

يمكن أن ينسب إلى العرب .. مستخدماً الرمز والتحوير في الوصول إلى الحقيقة العلمية .. إلى التوحيد مع الكون .. ولهذا برزت العناصر الصوفية الإيجابية في الفن العربي .

علي أبو شادي



- ١ ( فنون الإسلام ص ١٥٧ )
- ٢ ( فنون الإسلام ص ١٦١ )
- ٣ ( في الفنون الإسلامية ص ٢٥ )
- ٤ ( فنون الإسلام ص ٢٥٥ )
- ٥ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١٦ )
- ٦ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١٧ )
- ٧ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١٧ )
- ٨ ( سر الزخرفة الإسلامية ص ١٧ )
- ٩ ( سر الزخرفة الإسلامية ص ١٧ )
- ١٠ ( سر الزخرفة الإسلامية ص ١٤ )
- ١١ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ٢١ )
- ١٢ ( سر الزخرفة الإسلامية ص ١٥ )
- ١٣ ( سر الزخرفة الإسلامية ص ١٥ )

.. نرى أن بعض مؤرخي الفن يربطون بين المآذن الإسلامية والأبراج المسيحية . ويتضافرون أيضاً عن سؤال انفسهم عن منشأ الأبراج المسيحية ذاتها « ان الزيقورات الرافدية التي تعتبر من أهم العناصر المعمارية الرافدية قد انتقلت بصورة متتابعة إلى جميع التقاليد المعمارية اللاحقة . فظهرت الإنشقة الفارسية وظهرت في أبراج النواقيس المسيحية ثم انتقلت إلى المساجد ... وقد تكون مآذن مسجدي سامراء ومسجد ابن طولون أكثر قرابة من الزيقورات .. ولكن الفكرة الأساسية لجميع المآذن المربعة قائمة على معطيات الزيقورات من حيث رمزه التصاعدي الوجداني وأبديته المدعومة لسيطرة الدين على الحياة العامة .

**خاتمة :**

وفي النهاية نستطيع أن نقول أن الفنون المسماة بالإسلامية يحق لها أن تسمى بالفنون العربية فهي تستلهم الروح الإسلامية وتتسم بالطابع العربي ، فمن خلال هذا وذاك واعتماداً على أصول قبطية وبيزنطية وساسانية وعربية استطاعت أن تعطي فناً عربياً إسلامياً ساهم فيه الفنان العربي برحلته الدائبة للبحث عن الجوهر - الله - وهروبه من مضاهاته في خلقه وإغفاله للواقع المادي والعرضي أبدع أنواعاً جديدة من الفن مثل الرقش العربي (الارابيسك) ذلك الذي لا



غرناطة - قصر الحمراء

#### مصادر الدراسة :

- ١ ( فنون الاسلام دكتور زكي محمد حسن  
الطبعة الاولى عام ١٩٤٨ القاهرة
- ٢ ( في الفنون الاسلامية دكتور زكي محمد حسن  
طبعة سنة ١٩٢٨ القاهرة
- ٣ ( دراسات نظرية في الفن العربي دكتور عفيف البهنسي  
الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٤
- ٤ ( سر الزخرفة الاسلامية دكتور بشر نارس  
مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٢ .

- ١٤ ( سر الزخرفة الاسلامية ص ١٥ - ١٦
- ١٥ ( سر الزخرفة الاسلامية ص ١٨
- ١٦ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ٢٠
- ١٧ ( سر الزخرفة الاسلامية ص ٢١
- ١٨ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١٠
- ١٩ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١١
- ٢٠ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١٢
- ٢١ ( دراسات نظرية في الفن العربي ص ١٧

# عبد ميلاد



ترجمة: أحمد فارس

ARCHIVE

للكتاب السوفياتي

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

لهذا اليوم طويلا ويتحدثنا عن نوع الكمكة والهدية التي سيقدمتها بهذه المناسبة . وكان ميتيا بدوره لا ينسى ان يقدم مفاجأة صغيرة لوالديه . هاهو عيد ميلاد ميتيا يحل للمرة الثانية ، وهاهما يحتفلان به بدونه وذلك بسبب الحروب التي يشارك فيها . لقد اجتمع الاصدقاء والمذعوبون في العام الماضي بسدون ميتيا بل كانت تنوب عنه في الحفل اخر رسالة وصلت منه ، فتلقى قرب كعكة العيد وتقرأ في الحفل اكثر من مرة .

كان المعجوز كيريل البيتش احب صديق لايفان ديمتريفتش يستمتع بصمت عميق الى هذه

ومفاجأة احس ايفان بالهم في قلبه فتوقف برهة نتيجة الالم الحاد ، ورفع راسه من على الطاولة وتذكر زوجته . . . مازيا نيكولايفنا . . . كيف سيقول لها وهي التي كانت مريضة منذ عدة ايام بل بالضبط في عيد رأس السنة . وقبل هذا الوقت كانا معا في قلق دائم ، وكان كل منهما يحاول ان يخفي قلقه عن الآخر . منذ مدة طويلة لم تصل رسائل من ابنهم ميتيا . عن قريب سيحل اسعد يوم من ايام السنة ، فبعد اسبوع سيبلغ ميتيا العشرين من عمره .

عشرون عاما . . . انه عيد ميلاد ميتيا . . اجل ما في العام من اعياد . لقد تعود وزوجته ان يستعدا

منذ ثلاثة ايام خلت تلقى ايفان ديمتريفتش نعي ابنه الوحيد الذي قتل في الحرب . اليكم كيف مر هذا اليوم المريب في حياة ايفان . كان ايفان يفض الطرود والبريد المتعلق بالعمل بشكل ابي وفتح رسالة النعي ، ولكن ما ان بدا بقراءتها حتى تحولت حروفها الى حمراء كالدم . كان الجميع منهمكين باعمالهم لهذا لم يعهده احد اهتمامه . واتجه ادهم نحوه يطلب وثيقة . وراح ايفان ينظر في الملفات من اجلها . كان هذا بالنسبة له يبدو غريبا وغاية في الغرابة ، فلم يتغير اي شيء على وجه الارض لا في الناس ولا في الوضع .

الرسالة ويمسح بين الفنية والأخرى عينيه الرماديتين الغاضبتين —  
الدموع .

ها هي الآن ماريّا تستعد لعيد ميلاد ميّتيا وتنتظر بقلق بالغ رسالة من ابنتها ... نظرا ليقينها الى الساعة ، بعد ثلاث ساعات سيمود الى البيت وستكون ماريّا بانتظاره على الغداء . اي خير سيحل لها ؟ ...

عاد ايفان لممارسة عمله ثم نظر الى الساعة فالحاها الرابعة ، لقد انتهى الدوام ... وتساءل بينه وبين نفسه الى يكون هناك اجتماع ما ؟ ...

اراد أن ينهض من خلف مكتبه ، ولكنه ما لبث أن سقط برأسه على الطاولة ، وراح يبكى بمرارة . غادر ايفان عمله قاصدا البيت مارا بالمقاعة المجنية ، يجلس على احد المقاعد وجال ببصره فيها حوله . يا الله كم يبدو هذا مغرقا في البعد .. فعلى ذاك الكرسي العتيق اعترف بحبه لماريا ، كانت انذاك ازهار الكستناء متفتحة ، ورائحة العشب تفوح ، والنسيم البارد يأتي من ذاك النهر . بعد ذلك وعلى هذا الكرسي جلسا معا والى جانبها العربية التي تضم ميّتيا بين جوانبها . بعد ذلك توالى الاعوام . فهنا ركض ميّتيا وهو طفل .. ومشى وهو شاب بواقته المديدة المنصبة ... ومرت الايام كما ينبغي لها ان تمر .. عاما بعد عام ، وفي كل عام كانت الاشجار تغير اوراقها . ومنذ مدة قصيرة وفي الصيف بينما كان يتمشى في الحديقة اخذ يحلم ... ستنتهي الحسرب وسيعود ميّتيا ، وسيأتي ذاك الوقت الذي يمر فيه من هذا الطريق الصغير مع حبيبته ، وتحت تلك الشجرة ستقف عربية خفيفه وسيكون هو وماريا يقربها تسعدهما بسمة الطفولة . ستنفلت حياتهم الى حياة اخرى لا يمكن وصفها او قياسها

تغمرهم تيارات من السعادة العميقة .

والان انتهى فجأة كل شيء . لقد نضب التيار ... ومات كل ما حوله ... انه سيمود الى البيت حاملا معه الموت ليلقيه في قلب زوجته ... ولكن لماذا ؟ .

انه يعرف تمام المعرفة كيف تستقبل زوجته المصاب ، انها تخفي كل شيء في قلبها ... ولكنها لا تنسى ان تبحث عن كلمة مهدئة ومشجعة . كانت هكذا على الدوام وما زالت . بالنسبة لقلتها حول قلة الرسائل قالت منذ ايام « ما العمل ؟ بعض الناس لا يستلمون رسائلنا واحدة في العام ، وبعضهم لا يستلم شيئا ... وهذا ليس بارادتنا ... » مثل هذه التهذبة لم تعجب ايفان ، ولكن ماريّا لم تشف ثوبا من مرضها فلماذا يكن مسامحتها على هذه الافكار المحزنة .

صباح اليوم وقيل الذهب الى العمل تحفقا بما اعدها اليوم المبلبل . لقد قضيت المدة ان يوجهها الدعوة للضيوف في مثل هذا اليوم ، ولكن ماريّا لا ترغب هذه المرة بدعوة احد ، متعلقة بأن الوقت لا يسمح بذلك . وكان لايفان رأي اخر وهو انه يجب ان ترتاح النفس في هذا الوقت العصيب وسقط الاقرباء والاصدقاء وفي نهاية المطاف قررا ان يوجهها الدعوة لكيريل اليتش فقط .

بدا ايفان وهو يجلس على الكرسي انه قد هرم وانه اصبح اكبر بعشرات السنين . قضت العادة ان يسلك طريقه الى البيت بتأخر الطرق واسهلها ، ولكنه اليوم يفضل اطولها وابعدها عن المنزل . لقد توقف اكثر من مرة ليجر انتافسه ، فقد كان يحس ثقلا اكثر من مطاقته . ما ان اقترب من البيت حتى قرر ان لا يفوه بأي شيء لماريا ، لقد وجد من الصعب حرايتها من الاحتفال بعيد ميلاد ميّتيا . هناك

متسع من الوقت ليقول لها ... فلا داع للسعادة .

دخل البيت والى نظرة على وجه ماريّا الشاحب . يا الله كم أصبحت نحيفة وهرمه ، حتى ان يريق عينيه الزرقاوين جف . كيف لم يلاحظ هذا من قبل . بالاضافة الى كل ما بها فقد قررت ان تعمل في المساء ، ولكن لماذا ؟ . تناولوا طعام الغداء وخرجت . هكذا مرت الايام القاسية ،

لقد شعر ايفان بأن اقصى يوم في الحياة سيكون يوم ميلاد ابنه . وغالبا ما كان يتساءل كيف سيعيش هذا اليوم ؟ كيف سيرجع نخب صحة ميّتيا؟ من أين سيأتي بالقوة ؟ لقد عرف بأن الالم القليل المنطفيء قد يطغى بين لحظة والأخرى على كل شيء ويتحول الى الم حاد وجارف . ليكون السبب في ذلك كونه يحمل الالم بمفرده ، في الوقت الذي يجب عليه ان يصرخ من اعبائه ليسمع العالم اجمع ؟ .

في المساء ذهب الى صديقه كيريل اليتش فصنبا طويلا وبكيا معا في غرفة منفردة . ووافق كيريل على فكرة ان لا يقول ايفان لماريا اي شيء قبل عيد الميلاد .

في غرفة كيريل كانت صورة ميّتيا منتصبة على المنضدة ، فراح ايفان يحرق فيها ، كانت العينان مفتوحتين والشفاة مزمومة كأنها تقرر عن ابتسامة .

اقترب عيد الميلاد . كم كان يرغب في ان لا يأتي هذا اليوم التعتيس ، ولكنه تقدم وبسرعة .

في الصباح هنا ايفان وماريا بعضهما البعض بعيد ميلاد ابنتها ، واسرعا الى عملها . لم يشاهد ايفان السعادة في عيني زوجته كما في الاعياد السابقة . عندما انطلقا نهار الشتاء القصير وقدم المساء القاسي مر ايفان بصديقه كيريل واصطحبه معه الى البيت ، لانه لا يملك القدرة على الدخول اليه

اعزائي ، اكاتب اليكم لا للواساة . ان هذه الرسالة بمثابة اعتراف من القلب الذي سيتوقف عن الخفان بعد حين ، ولكن آخر خفقة ستكون مليئة بالسعادة من اجلكم ومن اجل الوطن .

اعلم يا احبائي اي الم سيفنذ الى قلوبكم ، ولكن جل ما اخشاه هو قلب والذي ، لذلك اكتب اليك اولا لان قلبك اكثر تحلا ، عليك ان تعديه لهذه المفاجأة غير السارة ، انكم سوف تكون برارة وستحزنون على . سيكتبون لكم بالتفصيل عن ماتري ، وسيطلعونكم على قبري . قد تبدو الحقيقة مرة للاباء ولكنها سعادة وفخر وهي اكبر الحقائق . لقد احببت وطني حبا جما واحببت ارضي ، احببت كل عتبة نبئت وثبتت عليها ، لقد دفعت ثمن هذا الحب دمي الذي وهبتهوني اياه . كم اربغ في ان اقول واقول ... ولكن هذا يبدو صعبا ... سأحاول ان اسامر معكم . عيد ميلادي يقترب ، ولكني اعلم بان يوم منيتي اقرب منه . ولكن انت يا اماء قلبي لابي عنه بعد عيدي ، دعيه يحتفل بيوم سعيد ، دعيه يحتفل معي على اني حي ارزق . انني ساترك وطني المتخن بالجراح والمهاتات ، انني لن استطيع رؤية حياته القادمة ...

وداعا يا اعزائي ... بلغوا تحياتي الوداعية لصديقتنا المخلص ...

لم يعد كيريل يستطيع القراءة ، فأكملتها ماريان نيكولايفنا . وانتهى عيد الميلاد وجلوس الجميع طويلا وراحوا يتحسنون بصوت خافت كما لو انهم كانوا يخشون ان يوقظوا احدا . وهكذا لم يناموا واستقبلوا الصباح ...

احمد فارس

— حلب —



ايام انتصارنا في الثورة التي اضطلع فيها الان اري الشمس بتقل الى بعبادة كل شيء جولي ابيض ناصع ، الجدران ، السقف ، الفرائش ، الاغطية ، وخلف النافذة ايضا وعلى السطح الابيض يتصاعد وينطلق الى السماء دخان ابيض ... لا ادري لماذا تذكرت اليوم ازهار شجرة تفاح حديقتنا .. لماذا ؟ لعل ذلك كوني بين الحياة والموت . لقد مر عامان واتا اعيل في حقل الموت ... اكثر من مرة سعت اليه وانذا في النهاية التي به . انني ساكتب باختصار وبدون ترابط . انه يسرع نحوي وبزعجني .. ساكتب عن الموت فيما بعد . انني يالهي ساعدك عن الحياة والاحياء . احلم كثير فكانت تراود افكاري ... ولكن عندي حلم واحد وهو ان اقوم بعمل يجعل الناس يذكرون اسمي مقرونا بالفخر والاعتزاز . ولقد قمت بمائة بطولية سيذكرها وطني بعد موتي .

بمفرده والجوس الى مائدة العيد . ها هم جيعهم في البيت ، وها هو ايفان يهنيء زوجته من جديد ويطلع قيلة على شفتيها الشاحبتين .

جلسوا الى المائدة ، فشرّبوا نخب ميتيا ونخب الوطن .. كالعادة . وبالقرب من صورة ميتيا كانت هناك طائفة من الورد الى جانبها جلبها كيريل . جلسوا الى المائدة وراحوا يتسامرون بود واخلاص ، تحادثوا عن كل شيء ولكنهم تجنبوا الحديث عن ميتيا .

نهض ايفان من خلف المائدة بغية مساعدة زوجته لكنه تأوه من الالم ونهاى على الكرسي ، فاندفعت الزوجة والضيف نحوه ، ولكنه غطى وجهه براحتيه وراح يحرك راسه ويبيكي كالطفل شاكيا وهامسا : — كلا ، كلا لن يكون هناك بعد اليوم ميتيا .

رمى ما في صدره من الم واندمع ليهديء ماريان من روع الخبر ، ولكنها انتصبت امامه والدواء في يدها ، بينما اليد الاخرى تمسح الدموع المتساقطة ، وهمست بلطف :

— لا عليك يا ايفان لا عليك . قال ايفان هامسا :

— لقد مر اسبوع على استلامي ... ولكني لم استطع ... وبقيت ماريان صامتا ، ثم تناولت من درج المذقة رسالة مفتوحة وقالت :

— ها هي آخر رسالة وردت من ميتيا لقد استلمتها قبل راس السنة وطلب ان اقراها لك بعد عيد ... كل شيء مكتوب هنا .

تناول ايفان الرسالة يريد قراعتها ، ولكن يده اخذت ترتجف واسودت الدنيا في عينيه ، فدفغ بالرسالة الى كيريل فراح هذا يقرأ بصوت خافت :

والدتي العزيزة !

اقراي هذه الرسالة بمفردك ، انني اكتب اليك في يوم مخي من

# صلى الجندب

## نلهم شعراء اليابان

### بقلم : حسن فتح الباب

للإنسان ، فخلق لا ليفكر فقط  
وانما ليفني أيضا ، والا فقد طريقه  
الى الاستمتاع بسحر الطبيعة  
والجمال البشري واستلهم أجمل  
المعاني وانبل القيم ولما أصبح ثمة  
مبرر كاف لتمييزه عن سائر الكائنات  
ولم يكن ماجنا ذلك الشاعر القديم  
الذي قال :

خلقت الجبال لنا مفتحة

وقلت لنا يا مبادي اتقن

وانت جميل تحب الجبال

فكيف عبادك لا يمشقون؟

فهؤلاء الكبار كانوا ينفذون الى  
ما وراء الجبال دون ان يصلوا الى  
حد ابتداء نظرية . فالجبال عندهم  
مظهر ومخير معا وتصوير روح الجبال  
هو سر خلود قصائدهم وليس الجبال  
هو الملامح وتناسق التركيب وحدها ،  
هو حسن الملامح وتناسق التركيب  
وحدها ، بل هو كامن في كل مظهر  
للحياة بل للوجود وهو الاحساس  
به .

فاذا كان الجندب ، ذلك الضرب  
من الجراد ، قد ألهم بعض شعراء  
اليابان قصائد من اعذب الشعر  
واجمله ، فذلك لانه لا اللون ولا جمال  
التكوين في اي صورة ركبت هما  
وحدهما مصدر وحيم ، وانما هم  
يستقون من الروح التي تكن خلف  
الاشياء بله الايحاء مهما قوت او  
عظمت ، بل ان دقة الجهد عندهم  
اكثر اجتذابا واشد اثرا لانهما تبرز قوة  
الوجود في اجل مظاهرها .

والجندب كان غريب الشكل والصوت  
والحركة ، لا هو بالطائر البهيج ولا  
هو بالحشرة المنفرة المنظر . ولعل  
هذا التفردهم الذي استوقف  
شعراء اليابان عنده ، واستوقفهم  
ايضا انه سيد في موقعه على صغر  
جرمه ، يحسونه معتدا بشخصه ،  
مترعبا على ملكته كأنها هو الحاكم  
الطلق . وماذا يهم رأي الاطيار  
والازهار والفراسخ الجميلة فيه ؟ بل  
ماذا يهم رأي صاحب البستان  
المرزعة نفسه ؟ حسب الجندب ما

كلاهما يتأمل النفس والكون ، ولكن  
الاول يتأملها بحسه المشبوب وشعوره  
الباطن ومكره السابح مكانه يحلم .  
اما الثاني فيتأملها بعقله المسارم  
وينطقه الدقيق . كلاهما يحل ويركب  
ولكن اسلوبهما يختلف ونتائجهما  
بداية يختلف ، فيأتي الشعر غشاء  
عقويا وفطوريا بديعا وتغدق الفلسفة  
ضبطا وتجريدا . وليس معنى ذلك ان  
لكل من الشاعر والفيلسوف عالما  
يختلف عن الآخر . فان مسرح الكون  
العرىض هو عالما بما يحتوي عليه  
من عناصر تتمثل في الطبيعة وفسي  
الانسان وسائر الكائنات . وقضية  
الخلق والمصير او الميلاد والموت هي  
شغلها الشاغل . والجبر والاختيار  
والحق والباطل ، والجمال والقبح ،  
كلها محور همومهم . فهي موضوع  
الفيلسوف الذي يأخذ بهما جميع ليه ،  
وهي تجربة الشاعر التي يماثيها .

وقد يتوحد الفيلسوف والشاعر في  
نفس واحدة وان غلبت احدى  
الزعتين على الاخرى ، وذلك اذا  
كان الشاعر صاحب مذهب او نظرية  
فلسفية . ومع ذلك فان كثيرا من  
شعراء الانسانية الكبار لم يكونوا  
فلاسفة قط . ولعل هذا كان خيرا

ليس بالجمال وحده يحيا الشاعر  
وانما بالحبكة ايضا . بل ان الشاعر  
العالمي ينفذ الى ما وراء ظواهر  
الجمال من اسرار الخلق وحكمة  
الحياة والكتاح حتى الموت . ومن  
ثم فان شعراء المفاات الحسية العابرة  
لا يعيشون طويلا في قلب البشرية ،  
فالشرارة تخفني والذي يبقى هو  
النور . يبقى الشاعر الضمير ابو  
العلاء المعري ، والمتنبي ، وابن الرومي  
ودانتي ، غولثون ، والفردوسي ، وحافظ  
الشيرازي ، وشوقي ، وابولوار ،  
وشكسبير ، وارجون ، وبرخت ،  
ولوركا ونظام حكمت ، وبابلونيرودا  
.. يبقى شعراء اسيا وافريقيا الذين  
استوحوا فنه من معاناة الانسان  
ومن لحم الارض . ويبقى الفكر  
اسمى معطيات الخلق الاعظم .

وقد كنت ارى دائما ان اعظم  
الشعراء هم الذين تمتزج فسي  
انتاجهم الاحساس المزهفة والفكرة  
العبيقة امتزاجا عضويا ، وان مكانتهم  
تتفاوت على قدر موهبتهم وقدرتهم  
على هذا المزج . ولا اعنى بالفكرة  
العبيقة ما تصلح بدخلا لذهن  
فلسفي . فاشاعر يختلف عن  
الفيلسوف من حيث الرؤية والاداة .



يشعر به من سعادة في اعبائه ،  
فان له لامعاً ايضاً ، وان له لماله  
الذي لا يشاركه فيه احد .

وإذا كانت صواحب الريش القزحي  
والانغام الشجية والاعطار الفاعسة  
والأجنحة الاثيرية تزهو بها ملكت ،  
ويأخذها الغرور ، فانه ليسخر منها  
اذ يغني كما يقول « اونيسورا » ..  
انه يغني للنهار .. ولكن الشاعر  
يحار في فهم الجندب ، هذا المخلوق  
الواهي ، والدخول الى عالمه العجيب  
وازيهه الغريب .

ومن ثم يتساءل عما اذا كان هذا  
الصوت دموعا .. هذا الصوت  
الصغير الذي ملا الكون كله حوله :

**الجندب الصغير السافر**

**يكي طيلة هذا  
القهار الضاحي  
لم يضحك ؟**

أما الشاعر « ايسا » فانه لا يسأل  
احدا ولا حتى نفسه لانه يعلم ..  
اوليس بصديق .. بل الى الجندب  
هو ولده البار ، اليس يتبعه كظله ،  
متواضعا ، رقيقا ، أمينا لا يسأله  
اجرا ولا اعترافا بالجميل ، انه يبدد  
برحه السكون المخيم من حول الشاعر  
ويؤنس بصوته وحده ، وهو الذي  
يخلنه في بيته اذا غاب :

**كن الآن ولدا طيبا**

**واحرص**

**الدار**

**يا صغيري الجندب**

وهو صديقه ايضاً .. وحارسه في  
الحياة .. وفي المات ..

**ايها الجندب الصديق**

**هل لك ان تكون**

**حارسا**

**لقبري الصغير ؟**

لا حزن يكدر صفو « ايسا » فما  
هو الجندب الصغير .. والتعبير  
الصغير .. كل شيء بقدر مقدور ..  
فمن اين يأتي الحزن الى الشاعر ؟  
فاذا حزن الشاعر فاما على الجندب  
تلسع الشمس المحرقة اهابه الرقيق  
وتطبق على انفاسه الواهنة ، فيختنق

صوته ، وينظر اليه « باشو » واجبا  
ملناحا :

**ياله من جو مطبق !**

**حتى الجنادب**

**أخذت غناها**

**الصخور المحرقة**

ويظل الجندب يذبل جناحاه مسي  
رمضاء الجير .. وهو الذي لا ينى  
يجالد من اجل ان يتنفس لانه مثل  
الشاعر يحب الحياة .. ياول « انون »  
يحترق الجندب الصغير على عينيه ولا  
يستطيع ان يمد له يد الخلاص ..  
يفني الصديق الامين رويدا رويدا ،  
صغيرا ، وحيدا ، ولا يملك حتى ان  
يشكو .. ما اقصر الحياة ، وما اقصى  
الموت .. أه يا ولدي الجندب .

**الجندب الوحيد**

**يصفر .. يصفر .. يصفر**

**ولا يزال ..**

شمعتي تذبل وتوهت

وإذا كان الجندب صديقا لاونيسورا  
وايسا ، فان النحل مصدر احياء  
لشعراء كثيرين مسي اليابان .  
وقصيدة : الى يعسوب (1) لثاكاهارا  
نشويا هي اجل قصائد هذا الشاعر  
الياباني الذي ولد في مطلع هذا  
القرن ومات صغيرا ، وكان مثله الاعلى  
سلوكا وفنا الشاعر الفرنسي الرمزي  
« ريمبو » منشأ بوهيميا عرييدا ،  
ولكنه ترك شعرا غير عرييد ، شعرا  
جبيلا :

**« الى يعسوب »**

**في سماء خريف تأمة الصفاء**

**يحلقي يعسوب احمر ،**

**وفي الحقل الخالي وقت**

**تطويها شمس خافتة**

**سحابة دخان مصنع بعيد**

**تقابل عيني ، وقد اغشاهها ضوء**

**المساء**

**اتنهد بعين ،**

**واركع لانتقاط حصة**

**عندما احس ان برودة الحصى**

**يزيلها دفء يدي**

**اتركها تسقط ، فتزلق**

**على الحشيش الذي افلته الشمس**

**الحشائش التي انزلت عليها**

**تخني نحو الارض ، بشكل ملحوظ**

**وسحابة دخان المصنع على البعد**

**تقابل عيني ، اللتين اغشاهما ضوء**

**المساء .**

ان التعب واليباس اللذين يفلتان  
هذه القصيدة ذات الرؤى والمصور  
الخارجية والنفسية الرائعة يصدران  
عن الايقاع القلق الذي اتى به  
القرن العشرين وعن حياة صاحبها  
الشاردة الضائعة . اما يعسوب او  
النحل عامة عندغير « ثاكاهارا نشويا »  
من الشعراء فهو محرك للاحاساس  
بالجمال والسلام والبهجة والحب .  
يقول « باشو » مخاطبا طائر السنونو  
في نبرة من الرومانسية الحالة التي  
سادت الشعر الياباني في القرن التاسع  
عشر :

**ايها السنونو المحلق في القجر**

**وفقا بزيميلاتي**

**التحلات**

**بين الزهور**

بل ان « ريتو » و « بوسون »  
يستوحيان الذي هو ادنى من  
اليعاسب او التحلات او الجنادب ..  
يستوحيان الصفادع في المستنقعات  
شعرا صافيا عذبا كيماء الجداول ..  
أما « ريتو » فانه يسمع الى صمتها  
فيحول صدها في نفسه الى نسيم  
رفاف .

**شخص ما يمشي**

**فوق الجسر**

**الخشبي .. اصغ**

**الى صوت الصفادع العميق**

وأما « بوسون » فانه يتأمل  
صوتها .. نقيقها ينفذ في اهاب الليل ،  
والوجود مستغرق في السكون  
العميق :

**واقفا ساكنا في العتمة**

**اسمع .. في البعيد**

**البعيد**

**اتشودة الصفادع !**

ولكن الصفادع القابعة تحست  
سطح المستنقعات تثير نغمة كيكاو  
او شغفته ، .. فهو يكره لها الظلمة ،

# صفحات قلم

لا شيء إلا أن نعيش ونشهد ،  
نلكنا هذه النار أو تلك النار .  
( ت. س. البوت )



حسين  
جليل

وينعى عليها هذا الرضوع الكتيب :-  
**أخرجي ! أخرجي**  
**من المستنقعات أينها الضفادع**  
**وأجهي العتجة**  
**وتألمي التجوم**  
وتسترعى حركة الضفدع المفاجئة  
في بحيرة السكون عيني الشاعسر  
« باشو » كما لم تسترعى أحدا ..  
إنها حركة أقوى من الصوت ، إن  
الضفدع بها تؤكد وجودها في قلب  
الطبيعة التي تهوج بـ « لاين  
الكائنات :

**بحيرة عجوز داكنة قاتمة**  
**فجاءة وبلا توقع**  
**ضفدع**

**تفطس ويتأثر الماء**  
وبيلغ عشق شعراء اليابان في  
القرن الماضي للطبيعة الى درجة  
الهيام بكل ذرة فيها والتعاطف مع  
كل كائن يتفلسف فيها حتى الحشرات  
.. يقول « برسون » :

**قمر لأمع في الخريف**  
**وفي ظل**  
**كل ورقة عشب**  
**هسهسة حشرة**

إنه ليس هسهسة حشرة .. إنه  
موسيقى لمن القى السمع .. أمنا  
اولئك الذين وضعت أفعال على  
قلوبهم .. فلا ضير ، فإن العالم لن  
يضر كثيرا في رأي « ايسا » :

**حتى من أزيز الحشرات**  
**يستنبط البعض**  
**الموسيقى**

**والبعض - وآسفاه - في أذانهم**  
**وقر (٢)**

**حسن فتح الباب**  
**- القاهرة -**

- (١) اليمسوب ملك النحل
- (٢) النصوص الشعرية التي اخترتها في هذا  
المقال مستقاة من كتاب رؤية شرقية  
ترجمة الأستاذ عسديان بجاتي ومن  
دراسة بمنوان الشعر الياباني الحديث  
بقلم دونالدكين ترجمة الدكتورة صفاء  
الشاطر منشورة بمجلة « عالم الفكر »  
بلكويت الممد الثاني ١٩٧٢ .

(١)

رجل منقوب الجبهة ... يسأل  
أشجار الحب السرية :  
كيف تصير « الزهرة » جرحا  
كيف تصير ؟ .....

● ● ●

(٤)

ما أقسى ..  
أن يبدأ حب ... في قلب مجوسي  
ما عانق إلا النار  
ليصير صلاة ... في الأسفار  
ما أحزن ...  
أن ... لا يفعل من يعشق ،  
أن ... لا يسرق من يعشق ،  
حبة قمح من حقل  
قطرة ماء من نهر ...

● ● ●

ما أحزن ...  
من يعشق ،  
في جسد امرأة ،  
« بينا ... » يسكنه « زمن آخر ... »  
وطنا محتلا ... ،  
وطنا ...

ما كان سوى حلم  
للشعراء ،  
وللقراء ،  
وللعشاق ،  
وللثوار !  
حسين جليل  
— بغداد —

● الترجمة للدكتور احسان عباس ، اما النص فهو :

(We only live, only suspire  
Consumed by either fire or fire).

من قصيدة الشاعر T. S. Eliot (Little Gidding) ضمن الرباعيات  
P. 57 - Four Quartets, Faber paper converyed edition - London.  
كما أرجو ملاحظة أن قصيدتي (منصافة نار) لا علاقة لها  
بقصيدة البوت "Little Gidding" ، ولكن حالي أثناء كتابة  
قصيدتي كانت تشبه الى حد ما ما تشير اليه عبارة البوت التي  
اقتطفها ووضعتها في صدر القصيدة . ويمكن للتأكد من ذلك الرجوع  
الى النص الكامل لقصيدة البوت المشار اليها .

في صبت البلور الأسود ،  
يحترق الحزن الاخضر ..  
تورق ، سرا ، في القلب  
أشجار النار ..  
ومع الريح ،  
يخفق ، عبر ضباب الشيطان المهجورة ،  
طير ...

— تتوهج في عينيه ،  
أقمار سموات أخرى —  
يحمل ، بين جناحيه ،  
كلبات ، نبي مجنون ... يحلم  
أن يشرب عشاق العالم  
من كأس واحدة ....

في ليل الحب

● ● ●

(٢)

يا صفصافة نار .... يعشقها نهر مجهول  
ما أقسى ..

أن يشرب « رائحة الماء ... »  
في الضفة اليسرى

صوت مقتول

ما أقسى ..  
أن يمتد الزمن الساقط في الدرب  
سكينا ..

بين النجمة .. والنجمة ،  
بين القلب الآخر ... والقلب .

● ● ●

(٣)

الحب .. يموت .. ويولد ،  
ثم يموت .. ويولد .... كل مساء  
و « القبر الناحل .... » ،  
ما زال هلالا ... يرهف  
من قطرة ماء .

تنشق ، بها ، « اللوحة ... » :  
عن « ظل امرأة .... »  
يخطر بين الاسود والابيض ،  
عن « صفصافة نار ... » ،  
في الفيض ... تسير  
عن « مرآة ... » يترادى فيها ،

# وجه وكلمتي ودم

شعر

أحمد الحويّ



هذا دمي .. ،  
وطن .. وتاريخ .. ألقه  
فيقفز - من دمي - فرح  
يفضي ..  
يتأثر الصوت المضيق في رجال الممر  
فاقتربي ..  
وهزي غصنه  
ياتي اليك .  
يتساقط الورق الشتائي الرديء  
ويصير عريانا - بلا اسم -  
فخطي احرفا - أخرى - على صفحاته  
وتعلمي فيه الكتاب .  
خطي زمانا للتبرد ..  
انني اهوى شظى غضبي  
إذا هبت خماسين التآكل .. والزئابة  
( قرآنك الدموي ينزف جنة !! )  
فتعلمي لغتي ..  
تمالي . ( في زمان الحرب  
لم تخطر سحاباتي سوى للمعجمين  
« سيئات » ) صارت حول قلبي .. وردة  
صارت سياجا حول قلبي )  
في زمان الحرب .. ،  
أول طلقة ، حملت أذقة قريتي ،  
حملك ، قافلة وخبزا ( حين حاصرنا العدو  
رايت - بين تحاور البارود  
والنبض المكابر - مونة  
مدت جناحيها - بلا صوت -  
وحطت بيضها - الموال - والترع البعيدة -  
والقرى - وأنا - وأنت  
تأبطت ، ما بنت المرس الجريء . )  
ويجيء وجهك ، حين كان الجوع يطلع في أصابعنا  
يجيء .  
هل كان وجهك غيمة عبرت إلينا بالمواند ؟  
جاءت إلينا ..  
حين كان الجوع يطلع في أصابعنا  
حروفا وقصائد ؟؟  
.. رحلت مواعيدي

# النهر

## جار النبي الحلو

غمر «علي» فرح دافئ حين توقف سقوط المطر ، أصبح شريط الاسفلت مفسولا . وعلى جانبيه الطين .. وفي الحفر تجبعت المياه .  
مرق في السماء الواسعة طائر صغير وحيد ، كان يرجع صوتا رائقا .  
ازاح « علي » الزنط الثقيل من على راسه الى الوراء . لسع الحصان النبي المعجوز بكرباج صفر بجوار الاذن . لم يسرع الحصان خطوة زائدة .

النهر يجري في محاذاة الاسفلت ، لا ينحني تاركا سكة المسافرين الا عند التظنرة البيضاء .

تابع « علي » النهر وتمنى لو ان النهر مملوء بالماء حتى يسبح . ولكن شهر « طوبة » يأتي والجفاف لا يترك غير السمك .

حمولة التراب فوق العرية الكارو تجعل الحصان لا يسير الا بالكرباج . وقد تمبت يد الصغير « علي » .

في وقت الفجر كانت الريح



.. على شفتيك ، اضحك ،  
والثلاوة موعد  
ودمي يضيء  
في اي ناحية يضيء دمي  
في اي ناحية يضيء .  
اهواك ...

يجرفني زمان الحرب ..  
ينقشني على جسر الولادة .  
اهواك اكثر ..

تشعلين خرائط الصحف المعادة  
ويطير بي فرس القتال  
يتخاصر الدم والبلاد ..  
ويرتني ظل الوطن

واخط اسمي .. فاكثبي  
هذا الطريق الوعر  
يسقط في دمي ..  
كالموت ..

يسقط في دمي  
كالتشمس ..

يطلع في دمي  
ودمي .. نهار  
اشتبهى حرفا صفرا  
فارحلي - في الليل - يا شمسا  
تؤرقني ...  
تبددني ...

وتذثر خطوتي . انفرطي على كفى  
تمرا للمساكين ، انتظار المعدمين  
على دمي . عيناك قافلتني وخبزي  
ومخافي ، للميني ساعة من  
شاطيء الفرق الملون ، للميني  
عانقيني ، وانشري لفتي ، تعالي  
ان اسبك وردة ، تصل الفصول  
الاربعة / وحروفه وطن وموال  
يلون نهر عمري بالسفائن ،  
بالسفائن ، والقنوع المتشرعة .

سريعة ، والمطر غزيرا .. و «علي»  
ينام القرمصاء في حضن أبيه .. ولم  
يكن يحلم .

نفخت الام المعجوزي في اعلى زجاجة  
المصباح الغازي .. فانطلقا .

— أنت رجلنا يا علي  
سهل الحصان المعجوز .. ونهض  
الاب مرتكزا على يديه .  
— توكل على الله

لبس الزنط الثقيل على راسه ..  
أخذ الكرياج الخفيف الطويل ..  
وسحب الحصان البني من الحظيرة ،  
ربت فوق رقبته ناعمة الشعر .

كانت السماء داكنة .. والابخرة  
تتصاعد من انف « علي » ومن انف

الحصان . سيقطع مشوارا طويلا  
حتى يصل الى الكفر ، ويخترق  
الشارع الموموي .. ولا يلقي بالا  
للشرطة العسكرية .. ثم ينحني

ويمين . ويعبر السكة الحديد .. ثم  
ينحني يسارا فيجد منزلا كبيرا له  
حديقة جميلة : هذا هو منزل الأستاذ  
فهمي .. ابتسم « علي » ، والتفت  
عيناها .. لم ينس تعليمات المعلم  
فاروق .. فارتفع بالكرياج .

— شي

العريش الاحمر مبث . كسل  
الحصان البني لابع .. ومبثل ..

وقف « علي » منتصبا فوق  
العربة ، خلفه التراب المرتفع ،  
وامامه كانت السكة تقوم عليها

اشجار خضراء . والعيال الغابرات  
قد تركوا دورهم في العزبة ، وكانوا  
يجرون في النهر — الذي يغطي قاعة

شبر من الماء — ورغم نحافتهم  
ووجوههم المكتئبة كانوا لا يكونون عن  
اللبب . « عيل » يجري ، وخلفه  
« عيل » آخر .. وقع المتقدم ..

وضحك « علي » بصوت مرتفع ، مرت  
عربة اتوبيس صفراء مسرعة ..  
فرقع بالكرياج وراءها .. مسح انفه  
الدهني بكم سترته السميكة .

وجهه الاسمر يميل الى الزرقعة ،

ولا يكف عن التخط بين لحظلة  
واخرى .

كان عليه ان يترك النهر عند  
الفتطرة البيضاء .. لكنه شد اللجام  
يمنة وانحنى مع النهر ، طامعه  
الحصان الكبير في يسر . قفز « علي »  
من فوق العربة ، احس بجسده خفيفا  
وهو بين العربة والارض الطينية .  
غاص حذاءه الجيشي الضخم في  
الطين ، انزلت قدمه اليمنى فاستدار  
بسرعة وامسك بسور الكوبري  
الحديدي البارد . عدل جلبابه من  
تحت السترة السميكة ، لم اللجام  
ورماه فوق العريش ، غرز الكرياج  
— الخفيف ، الطويل — في قلبه  
الغراب ، شعر بالسعادة تغمره :  
الكرياج مثل علم .. ابتسم ، فرك  
يديه واخذ يصفر مقلدا صووت  
المصافير .

حيثالمياه ترتفع حتى الركبتين  
وقف ثلاثة رجال ، وكان اثنان عاريين  
قبليا ، والثالث يلبس — من اعلى —  
فانلة برتقالية اللون ذات كم طويل .  
زق احمدهم وكان عجوزا عاريا :  
— اسحب يا احمد .. اسد ....

ه .... ب .

جذب احمد الشاباك ناحيته .. ثم  
شدعا .. يدها تقبضان على الاطراف  
بشدة ، وقوة ، وقد انتفضت عروقه  
.. وكان لسانه خارجا .

والرجل الاخر نفوس رجلاه في  
الطين ويشد الشاباك من الوسيط  
وقد رمى بقلته كله للوراء .

الهواء بارد .. والسحب ثقيلة .  
تسلى « علي » باخراج النفس من  
فيه ليرى البخار ، واخذ يكرر ذلك  
بفرح طفولي .

العيال ينتاثرون على الشاطيء ،  
يلاحظون دقائق المشهد المحبوب  
لديهم ، يقفون في تحفز دائم يهزون  
رؤية السيك في قلب الشاباك . فوق  
الكوبري : امرأتان فلاتحتان ، واحدة

ترتدي جلبابا به ورود حمراء وورود  
صفراء ، والاخرى ترتدي جلبابا  
اسود .

قالت ذات الجلباب الاسود :  
— عيني عليهم في البرد .

وضعت ذات الجلباب الملون يديها  
تحت ابطيها للدفء . وكانت تحقق  
في الرجال العراة بدهشة ورغبة .  
وقف « علي » بين العيال وكان

يضحك كثيرا حين يرى مؤخرة احد  
الرجال ، وكان ينهر العيال حين  
يقولون قلة ادب .

نقطة المرور القائبة على الفتطرة  
البيضاء : تواجه النهر والكوبري  
والرجال .. « وعلي » .

زجاج النافذة مندى ببخار الماء  
حيث الدفء في الكتشك . وعسكري  
المرور قد خلع حذاءه — المتآكل من  
الكعب — ومدد رجله بجوار منقذ

مخاري وكان سعيدا . غير انه  
انزعج لما رأى العربة الكارو تخالف  
قانون المرور . مد يده — الموشوم

على ظهرها اسد — مدها تحت  
الكتب واخرج قطعة قماش لا لون  
لها يمسح الزجاج . ثم نقر فوق

الزجاج .. ثم .. نقر بشدة . ولم  
ينقبه «علي» .

— اسحب يا احمد .. اسحب .  
صنع الصيادون حوضا من الماء

لمحاصرة السمك . وضموها قطع  
الحجارة البيضاء الكبيرة من تحت  
حتى ما بعد «علي» بامتار عديدة .

قطع الحجارة كثيرة .. وعالية .  
سال «علي» ولدا بجواره :  
— سوف تصطدم المراكب بهذه

الحجارة !!

يذكر جيدا الجلباب الابيض  
« البولين » .. كان صغيرا مثل  
هذا الولد الحائلي حليق الشعر .

اعطاه ابوه العنسي — وقتئذ —  
« قرش تعريفية » اخمر «منقرش» .  
— اركب المركب !

والعيال مثل السوق .. الوان  
عديدة ، وصراخ طفل .. وعيون



قال ولد :

— العسكري يسبك ..

زحق «علي» من اصرار عسكري  
المرور .. تراجع ببطء .. ولامبالاة  
.. ركن نفسه على اعلان كبير من  
الصفوح .. اعلان له اللون عديدة :  
حمر .. صفراء .. وزرقاء ..

« بلطم

في اجازة الصيف ..

استمتعوا بشاطئ بلطم

شاطيء السحر .. والجمال

بلطم

٨٤ كيلو مترا »

تمخط «علي» ، مسح اصبعيه في  
قائمة الاعلان .. وانحنى .. ززر  
حذاءه الجيشى الضخم ، كسان  
الحصان يدلي راسه تجاه الارض ..  
وكان يرمش كثيرا .. جنبه من  
الجمال .. رجع للوراء .. ثم شد  
الكرياج .. وعمل مرقعة شديدة ..  
وزق !

— شي

تزلحت حوافر الحصان .. ثم  
سرعا ما بدأ يخطو .. قفز «علي»  
فوق العرة .. وينحني الى اليسار :  
مزل الاستاذ فهمي .. والحديقة  
هناك .. ويروح .. ويجه اربع  
مرات في اليوم لينقل تراب المعلم  
فاروق للحديقة ..

وقالت له امه المعجوز :

— سيعملونك يرتقالا يا علي ..  
وستاخذ «بقتيشي» يا علي ...  
وستشرب الشاي يا علي ..  
وقف منتصبا .. نظرا للسماء الدائكة  
قال بحجاسة :

— شي

والتي بنظرة ساخرة على  
عسكري المرور ..

وعاود المصادون عليهم ،  
والعمال الحفاة تفوص اقداهم في  
الطين ، ويتابعون الصيد ..  
والطائر الصغير في السماء يرجع  
صوتا عذبا .. رائعا ..

جار التبي الحلو

براقة .. وكل يحتضن في كف يده  
« قرش احمر منقرش » ..

كان المركب يبيل .. يبيل .. ولا  
يفوص في النهر .. تنشب يد «علي»  
بحافة المركب او « بهدوم » جاره ..  
يعتدل المركب .. يشق النهر في  
ثقة ، يفرح الاطفال :

— ها ...

على الشط يدقون الطبل ..  
يتجمعون في فرحة .. ويفنون :

« سالمة ياسالمة

رحنا .. وجينا .. بالسلامة »  
فتح العسكري النافذة .. زسق

في غضب ..

— انت يا حمار ..

قال العميل لملي :

— العسكري سيسجنك ..  
العسكري سيسجنك ..

وجروا ..

خرج العسكري من كشكه ..  
كان ابو علي قويا .. ومك حمل  
على ظهره التراب .. وباع عمره  
واشترى الحصان ، والعربة ..  
تقدم العسكري ناحية « علي » ..  
ضرب اصابعه في كف « علي » ..  
— اتجه بالعربة الناحية الثانية ..

قال « علي » في فرقة :

— طيب .. لا تهد يدك ..

وهتف العميل فرحين ..

— السيك .. السيك ..

جرى احد وببده الشبكة تجاه  
الشاطيء .. كان يجذب الشبكة  
بصعوبة .. والاخران يدوران معه ..  
والسيك القليل والصغير يتفافز  
لمتعة في قلب الشباك ..

قالت ذات الجلاب الاسود :

— والتبي .. لا تشري نصفكيلو  
للعيال ..

قالت ذات الجلاب الملون :

— هذا لا يكفي «عيل» ..

— اشترى كيلو ..

— كيلو .. كيلو واحد لرجلك ..  
حتى ينام معك للصباح ..

جلبت ذات الجلاب الاسود المرأة

الآخري .. وسارتا بخطى وثيدة ..  
كان «علي» يلعب في النهر الصغير  
وكان يتفنى ان يصبح صيادا .. او  
صاحب مركب .. او سباحا ، يظل  
يسبح بلا تعب ..

وكانت امه تفصل الملابس  
والصحون في النهر .. وكانت لاتفني  
في البيت كما تفعل عند النهر .. وكانت  
هي الخونة الطيبة تحذره من  
الاقتراب من الماء ..

— جنية البحر تأخذك الى القاع  
.. وتترجك ..

في الصيف : يحب النهر لايموت  
مثل السماء : ازرق .. وابيض ..  
ومشمس .. ومتوج .. ويكره النهر  
في الليل : لان الجنية تضحك على  
الرجال بشعرها الطويل ..  
وجسدها الابيض العاري — الذي  
يذهب بمقول الرجال ..

ذات اصيل كان «علي» يلعب  
باطيئة ابه .. ثم .. طوح بها في  
النهر .. وما ان تشربت المياه حتى  
غطست .. واكل علة ساخنة من  
ابه .. واه ..

اقترب من الشاطيء اكثر ..  
جاور احد تبا .. نظرا في  
« الفلق » .. وجد السمك كثيرا ..  
له عيون براقة .. ورائحة محبوبة ..  
نظر العسكري من وراء الزجاج  
مرة ثانية ، واغتاظ من وقوف العربة  
الكارو .. فتح النافذة .. زق :  
— يا ابن الكلب امش بالعربة ..



مع كتاب

# ” حركة الاحياء اللغوي “

## ” في بلاد الشام “

للدكتورة : نشأة ظبيان  
عرض وتقديم :  
حسان بيدر الدين الكاتب

<http://Archivetheta.Sakhal.com>

السكان . واذكت فيهم حب التمسك بكل تقليدي ،  
ودفعتهم بالتالي الى تطوير التراث ، وتوجيهه نحو  
البساطة ، وسهولة تناول ، وعوامل اخرى خارجية  
كالنثر بالغرب ، وبنهج البحث لدى المستشرقين .  
ولقد كان الباب الاول لدراسة حركة البعث  
النسائية : كتطوير معجمات الالفاظ والمعاني ، ومعجمات  
الاعلام والمشايع . وبعث الالفاظ اللغوية ، وتصحيح  
الاخطاء الاسلوبية واللفظية عن طريق المقالة اللغوية ،  
وفيها كتب في الالفاظ الدخيلة والمعرية واصل بعض  
الالفاظ اللغوية وتأثير ذلك في الفكر واللغة ، وفي تطوير  
الحركة الاحيائية وفي تحقيق الذات البعربية .  
وحدثنا المؤلفة في الباب الثاني عن جمع علوم اللغة ،  
من صرف ونحو ، وبلاغة ، وفقه لغة وطرق تبويبها  
وتطويرها ، وافضل الطرق لتذليل الصعوبات المتعلقة  
بها .  
وفي الباب الثالث رصدت ماهية الحركة بشكل

● قدمت لنا المؤلفة الدكتورة نشأة ظبيان في هذا  
الكتاب القيم دراسة جادة لحركة احياء اللغة العربية في  
بلاد الشام ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .  
هذه الفترة التي تعتبر بحق من اقصى الفترات التي مرت  
بها بلاد الشام . . تتنازعها تيارات شتى ، وكانت  
الغلبة فيها للاتصال ، بفضل من واصل الليل بالنهار  
لاحياء لغتنا المقدسة .

● ولقد قسمت المؤلفة البحث الى مقدمة وثلاثة ابواب  
اوضحت في المقدمة قيمة اللغة واثرها الخطير في حياة  
الامم ، والخوافز التي دعتها الى اختيار هذا البحث ،  
والهدف الذي رمت اليه ، واوضحت فيها مخطط البحث ،  
واهم الاسباب والمؤثرات التي جعلت الكتاب يشعرون  
بضرورة القيام بحركة الاحياء ، من تحد عصري انتاب  
المنطقة ساعدته على الظهور مؤثرات اخرى ، اهمها :  
الحركة الثقافية ، وازدياد تأثير المسألة الشرقية ، ونشوء  
المدارس التبشيرية ، التي حفزت فاعلية التحدي لدى



عام معرضت ادق خصائصها . وقد اشرت فيه الى الخط البياني الذي سارت عليه ، ورسدت فيه اهم المؤثرات التي تأثرت بها ، مع قياس لدى هذا التأثير بشكل لا يجانب الدقة والموضوعية .

● اصدر هذا الكتاب في دمشق شقيق المؤلف العميد المتقاعد حسن غزاد ظليان ، وتم طبعه في مطابع سميراميس في الشهر الخامس من عام ١٩٧٦ ، باخراج انيق وطباعة ماهرة .. ويقع هذا الكتاب في ٣١٦/ صفحة من القطع الكبير .

● اما المؤلفه عديمشقية المولد والنشأة ، درست اللغة العربية في ثانويات دمشق ، وهي تتابع رسالتها بتدريس علوم اللغة العربية وادابها بكلية التربية للبنات في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية . نالت درجة الاجازة باللغة العربية في كلية الاداب في جامعة دمشق عام ١٩٦٢ . ودرجة الماجستير بعلوم اللغة العربية وادابها في جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٠ ورسالتها العلمية « النثر الادبي الحديث في سورية » . ودرجة الدكتوراه بعلوم اللغة العربية وادابها في جامعة عين شمس بدرجة الشرف عام ١٩٧٥ ، ورسالتها العلمية هذا الكتاب الذي نحن في صدده .

● ويجدر بنا ان نذكر هنا ان بحث الاحياء اللغوي موضوع دقيق يكدر الذهن ، ويصل في بعض الاحيان بالباحث الى الكلال والاعياء ، فضلا عن النجوم ، الا انه في الوقت نفسه خطير في ذاته ، ذو تأثير كبير في شخصية الامة وكيانها ، ونحوها الحضاري الفكري ، والثقافي . فالرصد اللغوي يجلي للعيان تطور الفكر والارتقاء ، ويبين مدى قوته وسداده ، كما يوضح ارتكاسه ، وضعفه ، بتجليا بدقة في التحرك اللغوي ، والخلق اللغوي ، من خلال صوغ الالفاظ الموضوعية المصنوعة ، ودقة دلالاتها المعنوية ، في استيعابها كل خصائص الدلول الذي تشير اليه ، او في تلك المترجمة المستعارة ، ومدى مطابقتها لقواعد اللغة وخصائصها . ويوضح قدرة اللغة غالبا على النمو المطرد ، او ضعفها وخيول الغائبين عليها . فاللغة مستودع تراث الامة ، كما انها ولا شك محك حيويتهن الذهنية ، ووزارة لتحركهن الفكري . وفي استخراج ما في ثناياها من حقائق انسانية عامة وخصائص شعبية خاصة بالشعب العربي والعقلية العربية ، ايضاح لدى قدرة هذا الشعب على تحقيق ذاته في احلك الظلمات . وفي اتقى منعطف له ، تخطاه بثبات ونجاح ، من دون الاحوال المعاكسة التي احاطت به من كل جانب .

وقد غدت اللغة في العصر الحديث مجالا رعبا للهيمنة الفكرية والسياسية ، والسيطرة المعنوية ، والعاطفية ، وهذا من اهداف التفوق والتقدم .

واللسبب نفسه بذل الفاتحون ، وما زالوا يبذلون تقصيرا جهدهم في تسويد لغاتهم وفرضها على سكان البلاد الاصليين ، تغزوم اللغة بطريقتي التفكسر والتعجير ، فتغني غناء تاما عن الغزو العسكري السلاح وتتخلص امام هجبتها لغة البلاد الاصلية ، فتتنازعها تلك الدخيلة بقاها ، لينوب سكان البلاد المفتوحة عنصريا ، وحضاريا ، وعاطفيا في بوتقة الدخيل .

والغلب الحضاري يتجلى اكثر ما يتجلى على اللغة ، ترسم في الحركة اللغوية خطوطه البيانية ، وتستبين من خلال هذه الخطوط سمات صلبة الشخصية القومية ، ونفوذها ، او اثار وهنها وضعفها .

وقد كانت هجة اللغة الدخيلة اتقى مما ذكرت في اكثر من قطر من اقطار العالم العربي ، ففي الجزائر قضت اللغة الفرنسية قضاء يكاد يكون تاما على اللغة العربية ، لغة البلاد الاصلية في مجالها الثقافي ، وامتزجت امتزاجا تاما باللهجة المحلية ، حتى اضحى من العسير على الاجيال المعاصرة الذين شهدوا فترة ما قبل حركة التعريب التمييز بين ما هو من لغة العرب ، وما هو دخيل من الالفاظ .

وفي تونس اضحت اللغة خليطا من العربية والفرنسية ، والفنت المقررات العلمية والبحوث في مصر والعراق باللغة الانكليزية ، وفي سورية ولبنان سهمت اللغة خليطا مشوها من العربية والتركية في القرن التاسع عشر ، ومن العربية والفرنسية في القرن العشرين ، واضطر اغلب المدرسين في هاتين الفترتين الى شرح الكلمة العربية باخرى اجنبية حازت المدلول الاتوى في اذهان الاجيال الناشئة .

وتبدت مؤلفات مستهل القرن التاسع عشر مع تاثرها بأسلوب القاضي الفاضل مثقلة بالصنعة حافلة بالاسفاف ، تزح تحت وطاة الضعف والركاكسة ، على غيوض في الدلالة اللفظة ، وفقر عقلي في البحث ، وضعف في التحليل والتعليل ، ووهن في الربط المنطقي ، وشح بالذوق اللغوي ، وفصلا عن ضعف المدلول ، وسطحية التراكيب ، تحفل بالالفاظ الدخيلة ، حتى اضحت التركية في اواخر هذا القرن واولال القرن العشرين لغة الدواوين وكتب الثقافة .

وظهر ضعف اللغة بشواهد كثيرة امتزجت في مراسيم حكومية ومؤلفات علمية وادبية ، حتى صارت الرطانة الاجنبية في فترة من فترات الحكم الدخيل مقياسا للرقي الحضاري والتقدم الفكري .

وفي المتحف الحربي بدمشق وثائق من المراسيم الصادرة في عهد الانتداب الفرنسي تشير الى ضعف الذاكرة اللغوية عند القائمين على اصدارها ، اذ

استبدلوا فيها كثيرا من الالفاظ الاجنبية بالاخرى العربية .

ووقف الفكر العربي في مستهل القرن التاسع عشر كليلًا واهنا ، لا يقوى على ممارسة الابداع . والابتكار . لذلك لم يظهر لون جديد مستحدث من الادب والعلوم اللغوية آنذاك . فما وصل الى يدي المؤلف من مؤلفات هذه الفترة لا يتعدى الرسالة - الديوانية . والوثائق التاريخية لبلاغات حكومية . واجازات علمية ، ومقامات فنية ، كلها تقليدي طبعها جميعا ضعف الاسلوب ، وركاكة اللفظ . ومبالغات في الصنعة في لغة تنفق للنصيفة والنفقة والاصالة .

واقض هذا الضعف اللغوي مضاجع التألمين من ابناء الامة العربية ، فنبهوا ، ونبهوا الى الخطر المحقق باللغة ، وساروا بخطى حكيمه ، سريعة معاكسة لياتوا بحركة البعث التي ظهرت في العصر الحديث .

وهناك ظاهرة لغوية انفردت بها الامة العربية تبعت خلال القرنين التاسع عشر . والعشرين . تلك هي حركة دائية جادة ، بعثت الفاظ اللغة ، وعلومها وادابها ، من ناياب الاحمال . مشفوعة بالجدجد ، والنصيفة اللغوية . وقد جمع المتطور فيها وعيا كاملا لاصول اللغة . على حين ظهرت هذه البقطة في ظروف سبعة جدا كانت اوضح مظاهرها سعي الحاكم الاميني الى قتل اللغة ووادها في كل مجال من مجالات استعمالها ، وعلى الرغم من الضعف والحرص والضغط والتصحيح ، سارت حركة الاحياء في خط سليم صحيح ، يستلزم الاختلافات التي ترغد مسيره على نهج يستدعي الإعجاب .

وانضح في سير الحركة اللغوية اخلاص القائمين عليها . وشغفهم بلغتهم ، ودايمهم الحريص على تحصينها وحفظها وتنقيتها ، في فرة المؤلفات المتطورة التي صدرت على مراحل متعددة .

● تجرعت حركة الاحياء اللغوي في بورتين اولاهيا في القطر الحري ، وثانيتهما في بلاد الشام ، وبدت خلاها مرتبطة بالاخرى . متكاملة معها . معاصرة لها . تشرب من معينها . وتلونه . ثم تقسم بسماته . وانت الاولى نتيجة انسياب علمي وفكري ثاني عن وفرة البعثات العلمية . اذ بدأ فيه الفرد العربي في مصر متمسكا في الازهر ودار العلوم تارة ، وفي مواطن اخرى علمية . ذاك الماضي الفكري المتألق في اراث الاجداد ، ساعيا في الوقت ذاته الى تطويع اللغة لطالب العصر . والى توسيع صدرها لتدخل في عبايه جل المصطلحات العلمية الحديثة علاوة عن المستحدثات الفكرية واللغوية .

على حين وقف الانسان العربي في بلاد الشام امام تحديات سياسية ، واخرى ثقافية ، وحضارية

تذكر عليه اصابته . فتحرك في اعبائه مثلا . وفكرا حضاريا خلفته في جبلته طبقات الاجداد رواسب رائعة . متألفة . من ماض ثري مجيد .

وكان اشد الناس شعسورا بضرورة البعث والتغير ، اكثر الناس اختلافا الى المدن الاوربية . ولم يكن يوسع الفكر العربي بحسب عادته اراء هذا التحدي الا تجاوزه باخر اشد واقسى . واكثر منهجية وتحديدا في روايع مؤلفة صدرت ابان هذه الفترة . اتضحت فيها سمات حوافز الاحوال الصعبة ، ووصلت اليها اثر اعظم حركة احياء اشرفت على العالم العربي ، ابتداء من مطلع القرن التاسع عشر ، اذ ظهر روادها اثر تحديات عصرية مجرت العبقرية فيهم ، وبعثت همهم ، واستشاطت بطاقتهم الابداعية امتدت الى امام سحيقه الاغوار لن يطالها الفكر العربي في اية فترة من اوقات بظئته في العصر الحديث .

واذا ما تجاوزنا الحافز الديني الذي عاش ناشطا ببقى على اللغة كيانها التني في الازهر والمعاهد الدينية الاخرى الموجودة في دمشق ، وحلب . وبقبة الاقطار العربية الى اخره اثره البين في حركة الاحياء لوجندا المسألة الشرقية تاتي على وجه الخصوص في المرتبة الثانية ، اذ تنشعب منها كل التحديات والثورات الفكرية . القربية او الجماعية التي انتابت الفكر العربي على السواء لان الفكر انئذ ما فتى كعاداته يزداد قوة وغلبة اراء كل تحد او حاجز يعترض طريق تنميته او يتغزل سير تطوره .

وفي الواقع لم ينكشف ضعف الدولة العثمانية كما انكشف اثر انهزامها امام روسيا واثار توقيعهما معاهدة كارلوتز معها سنة ( ١٦٩٩ ) ، هذا الضعف قد ادى بالضرورة الى منافسة حادة قامت بين الدول الاوربية الكبرى حول من يرث الدولة العثمانية فيستولي على ممتلكاتها الواسعة ، ففي الوقت الذي كانت روسيا تعتبر نفسها الورثة الوحيدة للبيزنطيين ، باعتبارها حامية المذهب الارثوذكسي آنئذ ، والعنصر السلافي ، كانت كل من انكلترا ، وفرنسا ، والنمسا تتفق خلاا دون تحقيق حلم الفيصرة باستيلائهن على القسطنطينية ، والوصول الى البحار الدافئة ، ومن هذه المنافسة بين الدول الاوربية ظهرت المسألة الشرقية التي يكن تعريفها الان بانها مجموع المشاكل التي نجمت عن ضعف الدولة العثمانية ، والمنافسة التي حدثت بين الدول الاوربية لاقتسام املاكها . وكانت المدارس التبشيرية التي انتشرت بكثرة في المنطقة ابتداء من مطلع القرن التاسع عشر تسلا خنيا الى سياسة الدولة العثمانية .

الحديث تحد من فعل الإنكار المنطوق . ونفسارح  
الافكار الخفية ذات الاتجاهات المدرة . ونوحى بها في  
الثرات العربي الاسلامي من أصالة وعيق . ودقة .  
اذ اوجد البحث صلة القربى بين اعضائها وروادهـ  
واشار اليها بـ « مدرسة القبة » نسبة الى قبـة  
النسر التي كان يجتمع المجلس في ظلها . وكان مسـ  
رجالها « الشيخ طاهر الجزائري » و « اشفيح » محمد  
البارك « ونواة الجمع اللغوي في دمشق ومنهمـ  
عبد الرحمن الشهبندر وغير الذين الزركلي وغيره رفسـ  
كحالة وغيرهم كثيرون .

ب — التيار التجديدي الحديث الذي ظهر في  
مدرسة كان اوضح سماتها التبارح النقابي بين لبيسان  
والثقافة الغربية ، وقد اطلقت عليها في البحث اسم  
« مدرسة الإباء اليسوعيين » تبعاً للقبيلة المعنوية  
واستفاد القول في اعمال هذه المدرسة وعن المحاولات  
العديدة للتجديد التي ظهرت في مؤلفاتها .

ج — التيار المعتدل الذي انبعث عن حلب وعرفت  
مدرستها باسم « مدرسة الجامع » اشارة الى الجامع  
الكبير الذي اجتمع فيه روادهـ ابادا طويـة ، وقـد  
استقرت في الاحقاب الاولى من عمرها المديد بالنفسار  
التقليدي النبعث عن « مدرسة القبة » واستفاد فيها  
بعد من التيار الفكري المطعم بالفكر الغربي في لبنان  
ودبر الزور في القرن التاسع عشر والعشرين غانت  
وسطاً بين الخريستين .

د — اوضح البحث ان الجذور الاولى لحركة  
الاحياء انبعثت اثر هزة عنيفة تناولت العقول النيرة  
والضماير الحية في منطقة بلاد الشام .

**خامساً :** اكدت الالبات الواردة في حركة الاحياء  
الدور المهم الذي لعبه « احمد فارس الشدياق » .

**سادساً :** كشف البحث عن حدث لغوي مهم اتى  
به النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين اخضع  
بطرس البستاني مادة القاموس المحيط بكاملها لاولئ  
الاصول جرياً وراء تسهيل الكشف في المعجم .

**سابعاً :** لقد بدا في البحث المستفيض في المؤلفات  
اللسانية تصور معجماتها عن اظهار معارفنا اللغوية  
كاملة ، ووقوفها دون ايضاح ما نحن بحاجة اليه من  
المعارف المختلفة المنوطة بكنه اللفظ وحقيقته فاشارت  
المؤلفة لهذا السبب من خلاله الى ضرورة تجسيد  
هذه المعارف في معجم يأتي حصيلة دقيقة شاملة  
للدراستات اللغوية المعروفة في وقتنا الحاضر . بما  
يتناسب مع فيمننا للغة في هذا العصر من دون الحشد .  
والجمع الذي اعتبر منهجاً في المعصور السابقة .

**ثامناً :** اوضح البحث وغرة الجهود المخلصة  
التي بذلت في التعريب والترجمة . ووضع الاسـول  
الاساسية لها ، كما اوضح قصور التوليد عـن

• وكانت المؤلفة خلال دراستها ترجع للمخطوطات  
النهاية المتعلقة بمجال بحثها بالإضافة الى المؤلفات  
المطبوعة . لتلا يحدث في بحثها اي ثغرة لم تعالجها  
ولا سيما وجدت المخطوط في اثار « احمد فارس  
الشدياق » يؤلف جزءاً مهماً من المادة اللغوية التي  
انتجتها عبقريـة هذا الكاتب . « سر اللسان في القلب  
والابدال » مثلاً لم يطبع منه الا الجزء الاول فحسب .  
كما ان المخطوط اللغوي المفهي « منتهى العجب في  
خصائص لغة العرب » ذلك الذي ضمنه احمد فارس  
الشدياق بحثاً مطولاً من خصائص حروف الهجاء دون  
ان يسبقه الى اسلوبه فيه احد من اللغويين كما ذكر في  
سر اللسان قد احترق فيها احترق من مخطوطات  
الاسفانة .

و ابراهيم اليازجي الذي سعى الى تصحيح معجم  
انبستاني لم يتناول في هذا التصحيح الا الجزء الاول  
منه ، وقـد به الموت عن انهاء كتابه الفوائد الحسان  
من فلاند اللسان فكرته في منتصف حرف الخاء . كما ان  
تبيهااته المهمة في اخطاء المعجم قد طبعت باشراف  
سبينة الفتور سليم شمعون وفقدت وهي من الاهمية  
بمكان .

وترك بطرس انبستاني « بلوغ الارب في نحو  
العرب » مخطوطاً ، ولم يستطع ابراهيم الحوراني طبع  
« الاعراب في نهج الاعراب » .

• • •  
ولا بد لي قبل ان انهي هذا العرض من تقديم تلخيص  
لما استطاع هذا الكتاب ان يقدمه للفكر اللغوي وما  
اضافه الى العلم والمعرفة بفضل الجهد الذي بذلته  
المؤلفة الدكتورـة ظبيان اوجزه فيما يلي :

**اولاً :** ان البحث برمته سعى الى تجسيد حركة  
الاحياء ، وتحليلها واظهار كنهها ، فاوضح اتجاهاتها  
المختلفة ، وحدد منطلقاتها الاولى ، وربطها بالزمان  
والمكان .

**ثانياً :** لقد برز من خلال البحث التنسيق الدقيق .  
والتنظيم المنوالئ الذين تناولت بهما المؤلفة مدارس  
ثلاثاً : احياء التراث ، ونشره وتطويره ، وبعث كل  
ما حاولت طمسه ايدي الحاكيين الاعاجم .

**ثالثاً :** لقد انضج من البحث اتجاه ثلاث مدارس  
عملت معاونة على نشر التراث العربي ، على حين لم  
يكن ليلالظ في منطقة بلاد الشام مثل هذه التيارات  
الفكرية الواضحة الحدود .

١ — التيار القديم التقليدي الذي انبعث عـن  
مدرسة عاشت في دمشق في الجابع الابوي ، عاشت  
ترونا طويـة تحمي الدين واللغة في اهلك دياجير  
الجهل المهيمنة على المنطقة . وانطلقت في المعصر



تغطية العدد الهائل من الالفاظ المستحدثة التي تليج لغتنا كل يوم ، واثار الى غفلتنا عن متابع ثروة التوليد والتعريب في اللغة . متوفرة في النحت والإبدال الصوتي .

**تاسعا :** حث البحث على التزام النهج المبدع في التأليف اللغوية لفصل الى عرض موادنا اللغوية مشفوعة بالتيسير المساعد على نمو اللغة وارتقاها، ونوسيع افاق انتشارها .

**عاشرا :** اظهر البحث خطأ مشبوها اخطط بالاعمال اللغوية فأساء الى الفكر والمعرفة وشوه الحقائق ، وحرف المفاهيم ، فاستباننا الاخطار اللغوية المترتبة على مثل هذا الانحراف اللغظسي والفكري في الاعمال اللسانية .

**هادي عشر :** لقد حدد البحث الدقيق في تأليف الحركة محاولات التجديد المسيرة لحركة احباء التراث .

**ثاني عشر :** عقد البحث الدقيق علاقة وثيقة بين عوالم التحدي ومظاهر النشاط الكائنة في فاعلية الانسان العربي النفسية منها والفكرية .

**ثالث عشر :** استفاض في البحث مجال القول عن تيسير قواعد اللغة وتقريب بعض علومها للأنهائم، في استعمال القواعد الكلية هدفا لهذا التيسير . وادخلنا تقوية الملكية كوسيلة مثلى لتقريب العربية . واخيرا لا بد من تسجيل كلمة شكر الى الأستاذ المشرف على اعداد هذا البحث المستفيض لئلا اجازة الدكتوراه الدكتور رمضان عبد التواب الأستاذ في جامعة الرياض . وللمؤلفة الفاضلة التي انحنيت بهذا البحث القيم في هذه الظروف الصعبة من تاريخ امنا الف شكر وتقدير .

**حسان المكاتب**

**- دمشق -**



**ساهرة :**

الظلية الشفيفة ، الوارعة تجعله ينعم بهدوء ناعم ، حبيب والكثف المساء العارية التي انحسرت منها المياة ، تداعب كتفه بتسوء ومواصلة . وثبة مشاهد عديدة لشريط ملون ، تترى على الشاشة فتنبدي الوجوه المظلية بالاصباغ

**قصة عالم العزاي**

براقة ، حلوة . لكنه ، وعلى نحو  
عنيف ، يمتد الوجوه المظلمة ،  
ويظنها زائفة . والبيت القاعدة  
بجانبيه ، تنسرب اليه منها  
« سواردي باريس » مضللة راحتها  
الحقيقية التي يريد . وينطلق في  
عينها ، فيربكه - رغم الظلمة -  
الكحل الثقيل الذي يحددها بقوة ،  
هيمت . وهي تحتويه بعينين  
تشتعلان صوبة ..

— اتدري .. ! كنت خائفة  
منك ..  
— لم .. ؟

— الجميع كانوا يحذرونني  
بصورة او اخرى .. حتى اخي ..  
— اخوك .. ؟ !

— بعد ان عرفني بك ، قال انك  
عاشق متعبد ، في فدفرك عشرات  
المواعيد ومئات الموافق ..  
— اخوك قال هذا .. !!

— وقال انك تحب غير . رغم  
مكابرته ، وادعائك بانك لن تقع ابدا  
.. لكنني كنت قد اغتنت بك وانتهى  
الامر ..

تطلع في وجهها . ملامحه دقيقة ،  
وشفتاها تتفجران شبقا ، وفكر انها  
قصيرة جدا حيال جسده الفارع ،  
لكنه تذكر ان الاحذية ذات الكعوب  
العالية ، صنعت لهذا الغرض  
بالذات .

سألها ..  
— في البدء كنت خائفة ، لكنك  
فجأة غدت كتلة تلتهم من الانتفاع  
والتحدي .

— كنت خائفة ، و .. كنت لبحن  
مشاعري ..  
— والان ..

— كما ترى .. تبخر الخوف .  
وهبت الهواجس . ولم يبق الا تبار  
عظيم من الحب يشدني اليك .  
بؤرجحتي في تبارك العالم ..  
— اخاف عليك انتفاعك .

— لانك لا تريدني كما اريدك .  
كما اغشقتك .

— مدت يدها فاحتوت راحته .  
وجذبته الى صدرها . ودعكتها  
بنهديها . ثم تقبلتها بشغف . وعادت  
تدعك بها صدرها وبطنها ..  
— صدرك صغير لكنه عذب .  
وبطنك طاو بمعجني .  
اشتعلت عيناها . فتائق ليهيها  
في العتبة ..  
— اتني لك ..

ضغط يدها بقوة . حملها  
سهيل الشهوة المبردة في داخله .  
اتذكر حين انسلت بك بالهاتف  
مساء امس الاول . كان يحتلني شوق  
كبير اليك . كنت اريد ان التهمك عبر  
الايير . ان تسحقني . تشغلني .  
ان تهزقني .. لذا دأبت المكالمة حتى  
الصباح .. اتدري . لو قلت لي  
وقتئذ . تعالي الى الان . لاتيكت رغم  
الليل . رغم التقاليد . رغم بيتنا  
المدهم المعاني ..

تطلع اليها بانسى . حضورها  
يبهجه لكنه يملأ ، تباها بعير . حتى  
وجوده هنا . وهذا الهواء المعنى  
الشيف . وهذه البيت المندقة .  
يستشعرها كلها . وعلى نحو حقيقي .  
مجرد مشاهد غابر في شريط حقيقته  
مخرج مبتدي .

— كنا نتهيا للحضور الى هنا حين  
اعان المذيع عن تقديم اغنيين  
« وردة » . لكنني كنت اعجابي .  
وجئت منلهمة بصلتي طائر الشوق .  
ضحكت بصفاء . وتبسمت اخبا  
المراقة القابعة الى جوارها . وقالت  
باستحياء :

— حين تغني « وردة » ننسى كل  
شيء .. البيت . المدرسة . الهاتف  
الجلات الطعام . كل شيء . ونعيش  
لها . نذوب فيها وننتشي بها . ولكن  
يبدو انك ساحر . لقد جرتني بعنف  
من امام المذيع . والغريب اننا  
انبتا ..

دايمه الم مضم . وتذكر هناك  
الشيباني (١) وريما عيسى وانجيلا  
ديفز .. ، وتذكر غير ، وفكر ان

العاصفة التي دأمت ارض العرب  
على حين غرة في مطلع القرن  
العشرين . جعلت القش يطغى .  
يغشى البذور . ويطمر الجذور .  
وادمى اريجياح . فانتصب انبساطه .  
وقال ..

— هكذا اذن .. !!  
عادت ضحكتها . منوعة . طرية .  
انثوية . قالت ..

— اقول الحقيقة .. انا افضل  
« شادية » على « وردة » . لذا انيت  
الى الفلم .

ظل يحرق خلال العتبة . في لا  
شيء . فيها تدافعت الصور على  
الشاشة .. وكان ثمة صراع ساذج  
يدور بين « شادية » ولها « مريم  
فخر الدين » . وفكر « من يا ترى  
اكرسنا .. شادية ام مريم فخر  
الدين .. ؟ ! » . وازعجه ان يفكر  
بهذه السذاجة . وادرك انه يعيش  
القناعة مرغما . وتطلع نحوها .  
غالفاها مغبوسة في الشاشة . وكانت  
تترنن مع « شادية » التي طفقت  
تغني . وفكر « هل فرغت غير الان  
من قراءة ديوان « حجازي » الاخر ؟ »  
وتبسم . واستشعر شوقا وحشيا  
اليها . واحس بيدها الراعشة تطبق  
على يده . والتفت . فراها تلتهمه  
بمعينها . وبطرف عينه رأى « صلاح  
ذو الفقار » يشد « شادية » اليه .  
ويتمصر لحبها البش . واقتربت  
فناقت خده بانفها . وانهمرت شفتا  
« ذو الفقار » تلتهمان شفتي « شادية »  
وصاح فجأة ..

— حاذري هنا الناس ،  
وشقيقتك ..

مرت راحتها الاخرى فوق  
صدره . وادخلها تحت ابطه ،  
وغغفت :

— ليس هناك احد خلفنا ،  
والصغيرة لا تابه لها .  
غدت شفتاها ازاء ، وكانت  
تتلطم بهما . والدم يكاد يتفصد منهما ،  
في حين تبدى الجوع في عينها ،

أبدى ، مهلكا . واقترب بشفتيه ، فأولجت لسانها في فمه ، وأحس شفتها في برودة الصقيع ، ورأها تسبح بين يديه ، وغشيت عاصفة تلجية ، فتجلدت أعضاؤه . وأحس الأضواء تنهمر عليه . وثمة مخرج مبتدئ يقف وسط جمع من الرجال ، خلف آلات تصوير هائلة ، يرقبها باهتمام . وسمعا تهمس ..

— قبلني أيضا .. ان شفتيك اروع من كل الاغاني ..  
ودنت منها آلة تصوير واسعة العدسة ، ومضت تلتهمها ، وأدرك انه يطفو مع القش ، فاعتراه قنوط عظيم ، وانسحب منها ، واكتفى في مقدمه . وثمة احساس ، على نحو من المهانة ، يهلكه ، ويحطه على الفئتيان .



سدى :

لوة . شعرها المنسدل ، حبيب بلون الذهب يتماوج ، بشرتها بلون الحليب المزوج بشراب الرمان ، شفتها كرزيتان ، ومن حافة ثوبها البرتقالي المزخرف ، بدت ساقها صقيلتين كالسججل . جسدها لدن ممشوق ، وفي عينيها يطالعه شك وتلق دائبان ، لكنها دخلت عليه ، منذ الآن ، وقد اخفتها وراء نظارة كبيرة انيقة ، غطت نصف مساحة وجهها اللعيق التفاصيل . لكنسه استطاع رصد الكيد المرتسم على محياها . بد يديه اليها ، لكنها لبثت لا تنبس ، فأخذ يديه بين يديه ، فأسلمت اليسرى بفتور ، يبنها سحببت اليمنى ، المقابضة على كتاب مدرسي رث ، ممزق الغلاف . حتى يعلن عن ابتهاجه بقدميها ، صاح مدعيا المرح :

— ما بال حبيبتى الزجاجية ..!!  
وجها يشوبه جمود طبيعى ، وعواطفها فاترة ، وحين تقبل يخالها ،



ARCHIVE

<http://Archivebeja.Sakhrit.com>

— انت تدري .. الدراسة اهم .

— والحب .. !!

— الحب لعب ..

— وانت .. !!

— انا احب الله فقط .

زم شفتي : حاصرها بعينيها ، قال

بهذوء قاصم :

— هدى .. !!

ادعت السذاجة ، وعيناها

تزوجان في فراغ الحجرة .

— نعم .. !!

— وحبيبتك السابق .. !!

دافعت باستماتة :

— لم اكن احبه .. لم اكن ..

— وانا .. !!

— انت حبيبك ساهرة .

— ان تحبني هي لا يعني انني

احبها .

تهدت بارتياح :

أنية زجاجية ثمينة ، دمدمت بلا مبالاة :

— لا شيء ..

— واذن .. لم الكدر ..!!

شدت يدها ، وجلست بتوجس

على حافة المقعد الذي قدمه لها ،

— ما اردت القدوم ، لكنهما

دفعتاني .

هما ، شقيقتها وصديقتها ،

رائعتان ، ومتفتحتان ، اكثر منها

فهما وامتزاجا بالحياة وعناصرها .

— قالتا ان اللقاء ضروري ، لكني

لا اجد له اي ضرورة .

صفت هنية . كان يحلو له ان

يبدو مصغيا اليها ، مشعرا اياها ان

كلامها بلاغة وفلسفة ، وشيء لا

يقاوم ، وفي قرارته كان قد تأكد انها

طفلة ، لكنه كان لم يزل بهورا ازاء

وجهها الملاك .

— الحمد لله .. انا لا احبك .  
— لم انت اذن .. ؟!  
— قلت لك .. هند ومير دفعتماني  
اسمع ان عبر تحبك ..  
بوغت ، وربما لم .. لكنه صاح  
نافيا :

عبر صديقتي ، وهى التى  
عملت على جمعنا .

— وما زالت ، ذلك لانها تحبك .  
يضعها في القصة ، بين اروع  
النساء ، ويعرف انها تجله ، لكنه  
ما درى ابدأ ان عبر تحبه بهذه  
القدسية . وسقطت عيناه على  
ساقها ، فرأى الثوب منحسرا عنها ،  
مخلفا فسحة كبيرة عارية ، من لحم  
بض بلون الورد ، ومن اسفل ركبتيها  
حتى منتصف قاعدة المقعد ، باتت  
انحاءا فحذاها باهرة ، على نحو من  
الاجاز ، وتوترت اعصابه كجلدة  
الطبل ، وتهدجت انفاسه ، وتضاعف  
وجيب قلبه ، وانهر الوحش يخفق  
اي فكرة اخرى في الراس ، وكانت  
نظارتها تخفي عينيها النجلوين ،  
وتبدد ثألي وجهها ، نهفت من خذل  
الشوق المرعب كذا القول :

— اخلمي النظارة !!  
اعلنت المائعة بحركة من شفتيها ،  
ومد يده الى وجهها ، لينزعها عنوة ،  
فدفعت راسها الى الوراء بحركة  
اثارتها . انحدرت عيناه على جديها  
الناصع بنشوة ، حتى اصطدمت على  
صدرها برقبة الثوب التي كادت  
تشي بنيت نهدبها الصغرين .  
انصبت غاضبة ، لكنه كان قد خطف  
النظارة ، فمدت يدها مرعوبة ،  
وغطت وجهها براحتيها ، وولولت  
ملغاة :

— اعداها الي .. اعداها ..

لم يغفل الى سبب يدعواها الى  
هذا التصرف الشاذ ، لكن الرغبة  
غزته ، حين رآها ، لبثت بصرة على  
اخفاء عينيها ، التي النظارة على  
النضدة ، ووثب عليها مدنوعا  
باحاسيس متشابكة من الرغبة

والفضول والحق . واخمل توازنها ،  
وهي تتراجع ، فسقطت على الفراش  
فجثم فوقها ، فصاحت ، واحدى  
يديها ، ما زالت تخفي نصف وجهها  
الايسر .

— دعني .. دعني ..

بقوة رفع يدها عن وجهها ، ثم  
كبل يديها ، على جانبي راسها ،  
بقبضتيه القويتين ، فغدت اسيرته ،  
وصوتها يلغ وجهه في غيظ ..

— دعني ..

تحت عيناها اليسرى ، كانت ثمة  
بثرة بحمرة ، داكنة الراس ، شوهدت  
قليلاً صفحة وجهها . استشاط  
غضباً ، فصاح مؤنبا ..

— يا حقما ..

صرخت باستماتة :

— دعني ..

— يا حقما .. كم انت

ساذجة !! ..

لثم البثرة بشفتيه ، مرات عديدة ،  
صاح بقسوة :

— اتحسبن ان ما تطرا على  
السباء من سحب ، تؤثر على

روعة المساء وسجرا .. ؟!

بدأ وجهها يطفح دما ، وشفتاه  
ترتمشان ، في حين لان صوتها ،  
وخفت حدته ..

— دعني .. دعني اتول لك ..

مرر شفتيه فوق عينيها ، وجهتها ،  
وشعرها ، لكنها لمت شتات نفسها ،  
وفغت :

— انا اكرك .. اكرك ..

اكرك ..

انهبرت شفتاه على فمها ،  
واحتضنتا شفتها السفلى ، وطفقتا  
تضممرانها ، فتنثلت ملامح وجهها  
الزجاجية ، واسبلت جفنيها ، وارخت  
اوعياها ، ففك قيودها ، فامتدتها  
تطوقان رقبتها ، واهزت شفتاه  
« اكرك .. » . لكن كلياتها  
تكسرت ، وهي ترتطم بشفتيه ، بينما  
كانت يدها تشد وجهه اليها . وتجلى  
القول راعبا ، ملتانا ينتهكه الظما ،

فطارت احدى يديه وحطت على  
صدرها ، وانشبت مخالبها فيه ،  
فشبت النار في داخله ، وطفز زرار  
أسود من ثوبها ، وامتدت اليد  
الاخرى الى ساقها ، وكان الثوب قد  
انحسر عنها ، فانهبرت اصابعه  
ببلبسها المخني ، واصطككت  
الشفاه ، اندلعت النيران ، فعربرد  
الغول ، ووثب وثبات مجنونة ،  
فاهتزت المرتبات ...

ماعت قطعة جائعة تحت السرير ،  
وتعالى نداء بالغ النطق من الزقاق ،  
وبكى طفل جائع . تطلع في وجهها ،  
فألقاه ، شاحبا ، مكودا ، وكان  
الغول قد انزوى قابعا في اغوار بعيدة  
يلقى رضاب تشوئته المتولسة .  
استحوذ عليه القرف ، واثاره شعرها  
المنكوث ، فود لو يصرخ في وجهها :

— انا اكرك .. اكرك ..

اكرك ..

وصاح ، وكان يعنيها ، يعني

ضعفه ، يعني الغول ..

○

عبر :

عيناه وسيمعتان حادثان كما  
سيف ، لكنها تفجدها في حضرتها ،  
وتعود طفلة كما ايام النقاء الاول ،  
وتتمنى لو يأخذها في احضانه ،  
فتندأ كمصفور وجد عشه ، وتدفن  
وجهها في صدره المريض ، وتروي  
له كل دقائق حياتها ، ثم تبكي ،  
تبكي حتى تنضب الدموع ، وبعد ،  
لن تعرف البكاء وهي بين ذراعيه .  
حين يراها ترققه بنظرة ود طويلة ،  
يهتف بصوت :

— انت رائعة ..

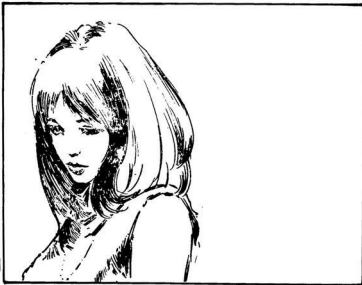
ويرقص قلبها ، ويصرم الاالق في  
عينيها تفريدا ، يواصل .

— ونبيلة ..

يتور وجهها التحمي ، فتهمس :

— انت الرائع والنبيل ..

هي .. صديقة هدى الحبيسة ،  
براه — في الغالب — ترافقها في



الباس . في طريقهما الى المدرسة .  
وكان يحمل لها في داخله ، مكانة  
خاصة لم يدركها . وكانت تغزو  
خُونه دائما ، فينكرها . وتظل . مل  
بسمها النقية ، مشتتة في عينيه .  
ومرة سمعها تتحدث عنه . وفي  
الصباح التالي راها في الباص .  
وكانت وحيدة . فترك مكانه . وتعد  
الى جوارها ، وكان الباص يدور حول  
ساحة واسعة . وعيناها تهويان  
خلال زجاج النافذة ، حين قال بهدوء :

« - صباح الخير .. »

التفت برشاقة . وقد تغمض  
وجيها القا ، وغردت .

« - اهلا .. »

حرك قواته في محاولة للهجوم

« - ليسني معرفة اسمك . »

نبتت . معرلة زحف جيوشه :

« - وهل هذا امر ضروري . ؟ »

عد بركز الهجوم . معيدا نظيره

بحركات قواته

« - امس سمعتك تتحدثين مع

صديقتك .. »

قاطعه باسمه :

« - وكان الحديث موجها

اليك .. »

صعدت الاندما في وجنتيهما ،

وحاصرهما الحياء ، وكانت تداريه

بانفسائها . قال بشفة :

« - لقد سمعته كله . هذا ما

يدعوني الى ان اعتبرك صديقتي . »

سألته بدلال بعفته :

« - ما بك .. ها .. ؟ »

عاد اليها . اصاعت وجهه الذكرى

الودودة ، وعاد اليها .

« - كشريط سينبائي تمر امامي

دائما ، لحظات اللقاء الاول .

هفت بمرح :

« - يومها لم اخبرك باسمي ..

« - لكنني في اليوم التالي عرفتته ..

« - سالتني هل اسمك غير .

« - وقتلت نعم .. »

« - بل سكنت

« - السكوت علامة الموافقة .

الوسطى ، ولامحها تقترب من  
ملاحه في بعض التفاصيل .  
عودها فاعرع رشيق ،  
وساقها منحوتتان باناة ، والمصدر  
باهر التكور ، لكن ما يثره فيها  
شغافيتها ونقاء روحها ، واشياء  
صغيرة اخرى لا تحصى .  
قال وعيناها تتفحصان قبيصها  
الاسود :

« - قبيصك متسخ .

انشغلت بتصفح الدواوين ، ردت  
بلا اهتمام ، وهي تدفع الشعر عن

عينها اليسرى

« - ساغيره غدا

انسرب صمت مباغت انبث في  
الحجرة ، بعد ان فرغت من الكتب ،

طلعت تدور بعينها في المكان ، بغتة  
نبرت باتنهاز :

« - اندري .. انني احس بارتياح

شديد في هذه الحجرة ..

« - حقا .. !!

لبثت لحظة تبحث عن كلمة  
مناسبة .

« - انها .. انها تحيل عرف عرق

خاص ..

« - ليس دائما .. »

« - أو المجارة .. »

غمضت ، ووجهها مسكون

بالمرح :

« - مهمهم .. يعني .. »

« - رغم جلاوة اسمك الحقيقي

وعذوبته ، فأنا افضلك غير .. »

« - اندري .. لقد جعلت صديقتي

يناديني به .

ترك مقعده ، اتجه الى مكتبته .

انتقى عددا من دواوين الشعر ،

استدار اليها وهو يتصفح الكتب :

« - القريب ان تكوني قناسة ولا

يعجبك نزار قباني .. »

« - انا لا اعتبره ، رغم شاعريته

المتدفقة ، شاعرا جادا .

« - كل البنات يضعن نزارا في

القدمة .. »

« - يقات انه يدافع عن المرأة

ويعبر عنها .. !! لانهن لا يقرانه

بعق .. »

انحسرت تنورتها السوداء ، عن

ركبتها ، فاعادتها وهي تغض

عينها . احتواها بنظرة طويلة ..

شعرها مقصوص كما فرسان القرون

ARCHIVE  
http://archive.bei.sakib.com



— ماذا .. ؟ !

— احسن فيها رائحة ابي ..  
الحزن اللاتب في عينيها ، وثيابها  
السوداء ، كلها تمثل اطار الحداد  
على ابيها الذي رحل منذ عامين ،  
كان هو كل شيء في حياتها . هيمست  
برهبة :

— حين فقدته احسست انني  
انتهيت ، وحين رايتك ، منذ سنة ،  
عرفت انني ولدت من جديد ..  
بوغت ..

— منذ سنة ..!! وكل هذه  
الاحاسيس ..!!  
اكسدت :

— سنة او اكثر قليلا .. كان ذلك  
حين رايتك للمرة الاولى ..  
تتم بحزن ..  
— انا آسف ..  
— المهم اننا التقينا .  
اننا به بؤس شديد ..  
— لولا هدى ما فكرت ان  
اكمل ..

قالت باصرار وثقة :  
— كنت ساحبك في روحي .  
قامت . اقتربت منه بخطى مترددة  
لوحث بالكتب . قالت من خلال شفقتين  
رفيقتين :

— حتى كتبك ومكتبتك تذكراني  
به .  
قالت الكتب بين يديها . هيمست  
كانها تحدث نفسها :

— غريبة .. غريبة ومزعجة  
الحياة ..  
بعد يدها ساوت الكتب ، وشدت  
عليها يدها الاخرى . رفعت رأسها .  
قالت :

— احسبك لانك تدفن ككل  
عواطفك في الكتب .  
— ليست كلها .  
هفتت متراجعة :  
— اوه عفوا .. وهدى ..  
— انت واهمة ..

قالت بالسف ، كشف عن الم  
نفين :

— او ربما ساهرة .. !!  
— ها انت تخطئين مرة اخرى .  
— اذن .. ؟ !  
— هناك الوطن .

استنشرت نيارا من ماء مثلوج  
ينهر على روحها المسكونة بالهيب .  
— ماذا عنه .. ؟

— الا ترين .. انه يمر بلحظات  
حرجة .

— تقصد مع شركات النفط ؟  
— والاستعمار والصهيونية  
والعملاء .. نحن محاطون يا عبي .  
— انك تخيفني ..

— علينا ان ندرس مواطني اعدائنا  
جيدا حتى لا نكبو مرة اخرى .  
— لكن النفط حق طبيعي لنا .

— هذا ما نقوله نحن ، وما  
يرفضون الاعتراف به .  
قالت تحسم الامر :

— لنعد هذا للايام القابلة ..  
— لم يبق الا ايام معدودات  
ونتنتهي فترة الانذار .

ونم .. !!  
— سرفضون ، وسنؤم النفط .  
حق طبيعي ، ولن يلوأنا عليه  
انسانان

تبسم ساخرا :  
— حين امم « عبد الناصر » قناة  
السويس لاه الاستعمار حـد  
الجحيم .

صاحت كأنها تتنقع نفسها :  
— تغيرت الايام  
— لكن الاستعمار بقي ، طريقه  
فقط تغيرت ..

بدت متوجسة  
— وهل تمتلك القوة للصوص ..؟  
— لدينا الايمان بالارض ، وعلينا  
توفير كل مزاياها ، والحد من  
شهواتنا .

سرى في عروقها انفعال نقى .  
ضغطت على ذراعها بقوة :  
— عليكم انتم الكتاب ان تشبهوا  
اقلامكم من اجل طوبح الوطن .  
كان هو ايضا يسكون بالتوجس

كياكل الناس . لذا هفت :  
— ساكسر القلم ، واشهر  
السلاح .. هذا اجدى .  
— امثالت عيناها بالغضب . قالت  
مستنكرة :

— لكن القلم ان كان نقيا ، كانت  
له حدة السلاح ، ربما اكثر .  
اطربه ايمانها . احتضنها بعينيه .  
صاح منتشيا :

— الم اقل انك رائحة .  
تأملته بوله مقدس :  
— حتى مشاعرك الحارة تذكراني  
به .

الى دقائق قليلة خلت ، كان بينهما  
غشاء رقيق ، شفيف . تراه الان  
يتزق تماها ، ويصيران روحا  
واحدة .

— كل شيء فيك يحمل عبق  
رائحته .. انت ابي ..

احسنت قلبها يخض الضلوع ، فلم  
تقو على كبت المشاعر المتفجرة كما  
بركان ، فالتقت جسدها المتوجع على  
صدره ، فضمها اليه بحنان ، ودفن  
انفه في ثبابا خصلات شعرها الفاعم ،  
واحسن رائحة الارض تنسب السى  
امعاه ، فيشد الاق في روحه ، وكان  
تهداها البكران ، يعانقان صدره  
بحب ، وكان احساسه المعبيق  
بالارض يزهر وينضاعف . ومسد  
شعرها ، وتطلع في عينيها  
السودادين ، وهمس بقوة :

— سأسمد حتى تبخر اخر قطرة  
حزن في عينيك ، حتى يستمر ابوك  
حيا ..

وكان الاصرار ، شجرة خضراء  
غارعة مثمرة ، بعيدة الجذور ،  
متشابكة الفروع ، تغور جذورها  
بعيدا في الاعماق ، وتبلا فروعها  
الكثيرة المشرعة ، الدنيا .

سالم الغزاوي  
— الموصل —

(1) هنا الشيباني .. فناة عراقية التحقت  
بالمعلم القداني واستشهدت في احدى  
المعارك الدفائية .

# التدمير الاعلامي

وقد وصل الامر الى حد وصف ما يجري الان بأنه ظاهرة فريدة في تاريخ الامة ، وفي هذا اغفال للتاريخ ، وتجاوز لحقيقة ثابتة ، وهي ان الامة العربية مرت بمراحل أكثر بشاعة ونهضة منها وهي اشد قوة وبأسا .

ان ما يحدث ، فيها نرى ، يمكن ان يفسر على انه شكل من اشكال رفض الواقع السيئ ، والتطلع الى التغيير الجذري ، والتضال في سبيل حقيقة . ومن الطبيعي ان تصطدم اية قوة تسعى الى تجاوز الواقع بالقرى التي يهوها ان تبقى الامور على ما هي عليه ضمنا لوجودها .

وحين يقتصر بعض او اغلب الانظمة في الارتفاع الى مستوى وعي وتطلعات الجماهير ، والتصرف في ضوء ارادتها ، فان من الظلم ان تختلط الاهدور ، وتنفذنا الى تحميل الجماهير العربية تبعه ما يحدث ، ومن ثم تقيدها ، وبث روح التخالف والياس في اوصالها .

فهذه الجماهير تعرضت في كل اطوار التاريخ العربي الى محن وكوارث اشد قسوة وبشاعة ، ولكنها تجاوزت حجب الظلام بما تلك من طاقات هائلة ، وبما تتميز به من خصائص غير قابلة للقاء ، تحت وطأة الظروف العارضة .

ولذا ينبغي على اجهزة الاعلام غير المسؤولة ان تكف عن التدمير النفسي . وان هي رغبة في تشخيص الداء فعلها ان تراعي الالامة في تعيين مواضعه ، والتفريق بين الذين ينشدون النهوض بالامة من واقعها المتقل بالسلبات ، والذين يضعون العصي في العجلات لعرقلة ارادة التغيير الذي تقتضيه سكة الحياة .

خليفة الوقيان

قد لا يكون ثمة من خلاف في ان الوطن العربي يعيش مرحلة من الارتباك والفوضى ، حيث تختلط الحقائق وتضطرب الاهدور ، ويصبح من غير اليسر تبين مواضع الاقدام ، وبخاصة لمن يكفون بالحكم على ظواهر الاشياء . ولكن من الطبيعي ان يكون هناك خلاف كبير في تفسير المبررات الكامنة وراء ما يحدث من وقائع يصعب على الكل تقبلها بشيء من الطمانينة والثقة في المستقبل وفي طاقات الامة . بل ان التصورات التي نطقو على السطح ونعلمنا بها اجهزة الاعلام صباح مساء تنج الى تصوير ما يحدث على انه بداية الانهيار الحقيقي للامة العربية . وهل ثمة ما هو ايسر من ان يصطبغ المواطن ويفتق بانباء المذابح الرهيبة بسن ابناء الوطن الواحد ؟ وهل ثمة اهل في راب الصدع بعد ان اتسع الخرق على الراقع ، وتعددت وتوزعت محاور الصراع ، وقبلت الحقائق راسا على عقب ، واصيب المواطن بالدوار الفكري ، بحيث لم يعد يميز بين من يريد تضديد جراحه ومن يسعى الى الاجهاز عليه ؟

ان من حق المواطن ان يصاب بالقلق تجاه ما يجري . وهذا شيء طبيعي ، ولكن المشكلة تكمن في كيفية تعامل اجهزة الاعلام لما يكن وراء هذه الاحداث ، فلقد اتجهت هذه الاجهزة غير المسؤولة الى تعميق الانهيار والانسحاق لدى المواطن . . وصورت تلك الاحداث على انها نذير النهاية ، وان الامة ان تفيق مما تردت فيه . بل لقد أصبح تثبيط الهمم والتندر على الطاقات العربية ، والسخرية من قدرة الانسان العربي على تجاوز المحن والظروف الشاذة مادة صحافية ثرة وموضوعا طريفا يصلح لاء الصفحات بالتعليقات الساخرة ، والرسوم الكاريكاتورية الهازلة ، الامر الذي زاد الاحساس لدى المواطن بالخيبة والتشاؤم والياس .